محمد برادة

مقابلة مع الشاعر العراقي
عبد الوهاب البياتي

بشرة خمرية ، وعينان ذكيتان ، وهدوء يشي بالثورة الداخلية الدائمة .. وتواضع كله حب وتعاطف .. ذلكم هو الشاعر الرائد عبد الوهاب البياتي الذي قابلته اخيرا بالقاهرة حيث يقيم بعد عودته من موسكو.

ويقترن اسم البياتي بالنموذج الناجح في تجربة الشعر الجديد الذي ما يزال محور الجدل والخصومات ، في جميع انحاء العالم العربي. وقد كان عبد الوهاب البياتي أصيلا في مراحل خط سير تطوره : فبعد أن أصدر ديوانه الاول « ملائكة وشياطين » ، المطبوع بالروح الرومانسية ، والاوزان التقليدية، استطاع ان يختار — عن وعي — شكلا جديدا، ومضمونا عاكسا لاوضاع مجتمعه. وذلك في كل من « أباريق مهشمة » ، و « المجد للاطفال والزيتون » ، وعما قريب ، « الكلمات والنار » .

واثبت البياتى — بمواقفه وسلوكه — ان قدر الشاعر العربى المعاصر ، مرتبط كلية بالصراعات التى يخوضها المجتمع ، وحطم صورة البروج العاجية التى كانت تعد من طرف الامراء ، والولاة ، والبلاطات ، لتسجن الطاقات الشعرية ، وتحيلها الى ببغاءات طفيلية.

س : — لم تكن تجربة الشعر الحديث استجابة لتغيير عمود الشعر التقليدى ، بقدر ما كانت انعكاسا لتصارع عوامل حياتية وحضارية .. فهل يمكن ان تحددوا لنا الخلفية التى دفعت الى هذا التجديد ؟

ج : — استطيع أن أقول أن العراق كان منذ أقدم العصور — وليس ذلك من قبيل التعصب — مهد الحضارات والحركات الفكرية والثورية . ولقد تجلت مظاهر هذه الثورات والحركات الفكرية وأينعت بعد الاسلام بشكل واضح وقوى . ولا حاجة لان نعود الى التاريخ لاستقرائــه .

بعد الحرب العالمية الثانية ، وما خلفته هذه الحرب من آثـــار نفسية ، وفكرية ، واقتصادية وسياسية ، ممثلة فى مختلف انحـــاء العالم ، انعكست هذه الاثار فى الادب العراقى ، فالعراق كان ممـــرا لجيوش الحلفاء الذاهبة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، ثم ان حركة التحول الاجتماعى فى هذه الفترة ايضا قد ظهرت بوضوح ، وكان هناك صراع بين الحياة فى المدينة والحياة فى القرية ، والحياة فى التراث ، والتطلع الى الامام . وكان للاثار الادبية التى ترجمت من لغـــات وآداب الشعوب الاخرى اثر فعال فى تطعيم الادب العراقى ، واغنائه بمضامين ثورية واجتماعية جديدة . وقد شعر الادباء الشباب فى تلك الفترة ان المضامين والاشكال الادبية التى كانت سائدة فى تلك الفترة لم تعد قادرة على التعبير عن الحياة التى كانت تعيشها الشبيبة نفسها،

فراحوا يتخبطون ويتارجحون بين مختلف الاشكال والمضامين المتوارثة، والاشكال والمضامين التى أتيح لهم الاطلاع عليها بما قراوه وتعلموه. وفى هذا الخضم ظهرت اول بوادر القصيدة العربية الجديدة . ومن المدهش أنها ولدت ناضجة . وفى رايى ان هذه الولادة كانت طبيعية للعوامل التى ذكرتها آنفا . ولا ننسى بهذه المناسبة ان نقول ان الرجعية الفكرية والانظمة البوليسية التى كانت سائدة فى تلكم الاوقات حفزت الادباء الشباب على ايجاد بديل فى حياتهم .

س : ــ ظهرت تباشير التجديد فى الشعر العربى الحديث خلال فترة زمنية متقاربة فى كل من العراق وسوريا ولبنان ومصر : ومع ذلك فقد كان الرواد العراقيون يعزفون انغاما متميزة . . فما هى خصائص هذا التميز خصوصا فى اشعارك؟

ج : ــ لم تظهر تباشير التجديد فى الشعر العربى الحديث خلال فترة زمنية متقاربة فى كل من العراق ولبنان ومصر . فلو استثنينا لبنان مثلا الذى قامت به بعض الحركات التجديدية فى القصيدة العربية، والتى كانت محاولات شكلية عقيمة ، نتيجة التاثر بالادب الغربى ، لا نتيجة مؤثرات سياسية واجتماعية ، وفكرية نابعة من الداخل ، فاننا لا نجد اثرا لهذه التباشير فى مصر او سوريا نتيجة عدم خضوع ادباء هذين البلدين العربيين الى نفس العوامل والمؤثرات ، التى خضع لها الادباء العراقيون . ولقد جاءت حركة التجديد فى شعر هؤلاء بعد اربع او خمس سنوات تقريبا من حركة التجديد فى الشعر العراقى

أمــا الخصائص المميزة لاشعارى فتتلخص فيما يلى :

١ ــ الثورة والتمرد ورفض كل القيم الزائفة ، وكل ما يشوه ويمسخ انسانية الانسان.

٢ ـ الالتزام اتجاه القضايا العربية والانسانية وعدم الفصل بينهمـــا •

٣ ـ عدم الخضوع لاتجاه حزبى معين •

٤ ـ ان الشكل الجديد فى اشعارى لم يات نتيجة التجديـــد المحض والحذلقة وانما جاء نتيجة نفس العوامل التى ذكرتـــها فى جوابـــى الاول •

٥ ـ اننى الجا فى اشعارى الى مواجهة الواقع المعاش، والتعبير عنه ولا اميل الى الرموز والاساطير وما اشبه ، لانى اعتقدها امورا مسعفة فى الشعر ، لا غاية لذاتها.

٦ ـ احاول التركيز والبلورة وطرح الفضول فى الجملة وحذف كل ما يمكن حذفه من ادوات الجر والعطف والظرف ، لانها ادوات تقرب الجملة الشعرية من الجملة النثرية •

٧ ـ احاول فى اشعارى استيحاء الفولكلور الشعبى والامثـــال والتراث العربى والاسلامى والانسانى عامة •

٨ ـ احاول ايضا الوضوح قدر الامكان ، فالوضوح شـــرط لازم للفـــن •

س : ـ ما رايك فى شيوع الرموز فى الشعر العربى الحديث ؟
وكيف يمكن الاستفادة من هذه الوسيلة الفنية ؟

ج : ـهناك رمز فى اللفظ فقط • وهذا اقبح انواع الرموز اذ انه يوقع الشاعر بنفس الهوة السحيقة التى وقع فيها بعض شعراء الفترة المظلمة • وهناك رمز فى العبارة الشعرية ، ورمز فى فكـــرة القصيدة كلية • وانا لست ضد رمزية العبارة الشعرية ، او رمزية

القصيدة كلية اذا ما كان هناك مبرر فنى لذلك . اما اختلاق واصطناع الرموز دون مبرر فكرى او فنى ، فهو محاولة شكلية عقيمة وهروب من الواقع المعاش وانا لست كذلك ضد استخدام الرموز فى التعبير عن الواقع المعاش . بعكس بعض الشعراء الذين يغرقون الواقع المعاش فى ضباب الرموز ، او يهربون من واقعهم الى طلاسم الماضى، ورموزه دون تخطى هذا الماضى وجعله حاضرا .

س : ــ نتيجة للمعركة الحاسمة التى يخوضها الشعب العربى من اجل التحرر ، فان الشاعر يجد نفسه مرغما على الالتزام .. فكيف ترون امكانية التوفيق بين الالتزام ، ومتطلبات « فنية » الشعر ؟

ج : ــ اعتقد انه لا يوجد اى تعارض بين الالتزام ومتطلبات فنية الشعر . وفى رايى ان كل الموضوعات صالحة لان تكون مادة فنية للشعر اذا ما احسن الشاعر اختيار الزاوية التى يعبر بها عن هذه الموضوعات . والشعر العربى جميعه شعر ملتزم . ولقد فات الزمن الذى كان يتناقش فيه الناس عن : هل ان الفن للفن او ان الفن للجميع . فلقد دحضت قضايا الانسان المعاصر، وقضية الشعر العربى بالذات ، نظرية الفن للفن الى الابد .

الشاعر : احمد المجاطى

مذكرات مشردة

١٥ اكتوبـــر

امســـى علـــى مـــدارج القريـــة ظهـــر يجلـــد
والغـــد مـــن خلـــف امتـــداد الليل بـــاب موصـــد
طرقـــت بـــاب الليـــل عكـــازى انحنـــاء مجهـــد
نجمـــى ســـراب مطفـــأ الرعـــش وطرفى ارمـــد
مسامـــر المسيـــح فـــى دمـــى فكيـــف اصمـــد
....

١٠ ديسمبـــر

فـــى الكـــف مجذاف ، ولفح الريح ذوب من تنـــك
والبحـــر موج مـــن حنين ، وامتداد مـــن حلـــك
غابـــات شوك معتـــم الادغال مســـود الحســـك

ألقيت أحلامـــى ، كوانى الشوك لملمت الشــرك
حطمـــت صنارى : دموع الحزن فى عين السمــك

••••

٢ مـــــــارس

هـــل أستبيح الحب ، هل اغتاب احزان الشفــق
هـــل انثــر الـــورد علـــى قبــر الـــه من ورق
مـــن اين أمضى ، والمدى سوط ودرب من غســق
لـــم يبـــق من وهج الضحى الا بصيص مـــن الـــق
يهتـــز فى قلبـــى ، يشم الارض بحثا عـــن نفـــق

••••

٧ ابريــــل

لـــو أن صفصافا كئيـــب الظـــل منخور الجـــذوع
يمـــد طيفـــا مـــن جناح أو رفيفـــا مـــن ضلـــوع
لوخيمـــة منصوبـــة الا وتـــاد فى ليـــل الدمـــوع
شراعهـــا مـــن قريتـــى ثكـــل وتشريـــد وجـــوع
تضمنـــى ، تشـــد احـــزانى لاحـــزان الجمـــوع

البيضـاء : احمد المجاطى

الدكتور سامى الجندى

الحذاء المثـــقوب

منذ ايام استيقظت فى اعماقه ليلة ، شردت فى ماضيه ، وتاهت فى دروب حياته الوعرة ولكنها تلح عليه الان ، كأنه يعيشها الساعة ، جهد طويلا ان ينسى فما وجد الى ذلك سبيلا ، وكيف ينسى حوادثه الصغيرة التى حفرت حدود شخصيته ، وخلقت حبه وحقده.

◆◆◆

استطاع بعد جهد ان يحصل على بطاقة حفلة ساهرة ، تغنى فيها مطربة شهيرة ، وحبيبته هناك تنتظره .. جاء متأخرا والطريق تعلو غير شاب وقف قريبا من الباب يتكىء على الجدار ، وقد عقد قدما على اخرى ، كما فعل هو عندما انقطع المطر .. اقترب منه قائلا : « أمعك عود ثقاب » .

ــ لا

ــ لمَ لا تدخل

فتطلع اليه الشاب ، وهز كتفيه ، ثم غادر مكانه وطواه الطريق ، بعد قليل حاول الدخول ، فلم يستطع ، ومزق البطاقة ، ووقف مكان

الشاب ، فاخذت القطعة السميكة من جلد قلبه تئن كما فعلت عندما اكتشف ســـره .

حبيبته فى الداخل تنتظره ، وهو يتحرق شوقا الى ان يرفل بنعيم نظراتها ، ولكن القطعة السميكة ، القطعة التى وسمت حياته بطابع لا يزول ودفعته عن احب ما لديه ، لقد داهمه سواد الماضى ومرارته وحرمانه دفعة واحدة .. كانت الالحان تصل اليه بلهاء ، قاتمة ، ولكنه لا يريم مكانه كأنه يريد ان يستمتع بالعذاب القديم .

عاد الى الامس البعيد .. كانت السماء تهطل رذاذا خفيفا ، والشمس تلتمع ، وقد بللها المطر ، شمس اواخر شباط واوائل آذار تضحك قليلا ثم تمر غيمة عجلى ، فتغطى وجهها ، ثم ترفع حجابها ، لتغمز قليلا بعينها كأنها جنية خرجت من اليم .. وهو فى الممشـــى الطويل الممتد بين الصفوف ، يقف أحيانا قبالة الدرج كى يشاهد الطلاب فى مرحهم وقفزهم أو يجلس الى النافذة التى تطل على الطريق ورفاقه يتساءلون ويتناقشون فى امره : منهم من ظن انه يحب الوحدة ، ومنهم من أكد انه يتصنعها ، وقليل منهم فطن الى ان سبب عزوفه عن رفاقه وجلوسه الى النافذة ، هو ابنة الجيران .

نعم كان لكابته وبعده عن رفاقه سر ، ولكن لا هذا ولا ذاك ، سر لا يجرؤ على البوح به لاحد لان اقل اشارة له تجرح كبرياءه . كتب لابيه يحدثه عنه منذ شهر ، ولما يصله الجواب ، مع ان الوقت مناسبه لارسال الدراهم : انه على يقين ان يقرن (نجومة) قد ولدت ، وان اباه يبيع من لبنها ، لقد حسب شهور حملها على اصابعه اكثر مـــن مرة .. لماذا تأخر ابوه .. ترى هل جد جديد بالبيت ؟

كان اساتذته يمقتون تعاليه وتحديه ومظهره المتعجرف الذى لا يجدون له مبررا .. كان لا يجيب الا اذا سئلَ ، لا يرفع اصبعه اذا ازدحمت الاصابع فيسأله الاستاذ : اتعرف الجواب ؟ كان دائما يقول نعـــم ...

ــ لم لا ترفع اصبعك ؟

ــ لان السؤال بسيط والجواب ابسط .

كان يتلذذ بالعقاب لانه دليل على انه موضع اهتمام الاستاذ . ويحار الاساتذة فى تعليل ذلك منهم من رده الى الكتب ، ومنهم من رده الى الذكاء الخارق ، ولكنه لا هــذا ولا ذاك وانما ثقـب فى حــذاء قدمــه اليسرى .

لقد مرت سنون طويلة منذئذ، وهو يتساءل بينه وبين نفسه : ترى لم كانت تثقب فردة الحذاء اليسرى قبل اليمنى ، اليس العكس اقرب الى طبيعة الامور ؟

كان مظهر الحذاء الخارجى عاديا لا جديدا ولا قديما لانه يصبغه كل شهر مرة تقريبا ، ويظل اللون عالقا به لانه لا يجارف بالسير تحت المطر ، وليس من اجل الصباغ ، وانما خشية ان تدخل الماء الى قدمه .. لقد جازف مرة واحدة فقاسى من آلام بطنه الكثير .. كان لا ينام الا بعد رفاقه ، ويستيقظ قبلهم ليحتذيه ، ويخشى ان يضعه فى الممر الضيق ما بين السريرين فقد يستيقظ جاره ، وقد تصطدم به قدمه اذا قام لبعض شانه فتنقلب الفردة اليسرى ، ويظهر سر نصف النعل ، وقد تثقبت وظهرت للحذاء عين جاحظة وقحة .. كان لا يهتم باليمنى ، وانما يدسها تحت السرير زيادة بالحيطة ، ولهذه الاسباب حافظ الحذاء على مظهر خارجى لا بأس به .

توقف المطر قليلا ، وسالت مياه المزاريب على ارض المدرسة .. وقف قبالة الدرج .. كانت الشمس تضحك له ، وهو يحب الشمس ، فدلف الى الساحة ، ووقف حد الجدار متكئا على الحاجز الحديدى . انه حتى الان يحقد على نفسه لانه ترك النافذة ، اما كان اجدر به ان يبقى حيث كان ؟ كانت دعوة الشمس اقوى من حذره .. وقف حد الجدار ولف قدما حول قدم كى يرفع اليسرى قليلا الى الاعلى فلا تبتل ولا تدخل الماء الى قدمه وهكذا يضمن لنفسه تامل الشمس وبقاء سره سرا ،

ووقف معه رفيقان. قال احدهما وهو يغمز بعينيه «اراك برحت النافذة!» فتضاحك معه ليوهمه ان قصة الفتاة الشقراء صحيحة ، رغم انه لـم يكن يجرؤ ان يتطلع الى اية فتاة ، كان يقول له بسره : « ابناء الحرمان لا يجوز لهم الحب » وطال الحديث .. وفجاة حدث ما لم ينتظره ..

انه حتى الان يجهل كيف اكتشف احد صديقيه سره .. هل كانت صدفه ؟ محال ! ان الصدفة بريئة ، وحركة رفيقة ، كانت لئيمة حتـى الجنون .. كيف استطاع ان يرى الثقب مع ان ارتفاع قدمه لم يتجاوز اصبعين .. نعم اصبعين لا ثلاثة .. لقد تساءل طوال تلك الليلة ، وما زال يتساءل فما يهتدى كان الذى اكتشفه يحمل مظلة ادخل راسهـا الحديدى فى العين الوقحة .. كان الحديد بارد برودا عجيبا أحس لذعة فى شرايين قلبه .. لقد سكن الجليد اوصاله منذئذ .. كلما مرت القصة بذهنه وضع يده على قلبه مخافة ان يميته الصقيع ، ونضح عرق بارد من جسده تماما كما حدث له ساعتئذ .

كان فى قدمه امام الثقب دائرة مشرشرة ، قس جلدها كركبـة البعير ، لا تحس ، اما فى اللحظة فقد كانت كتلة اعصاب تتوجع . لو اصاب الحديد عينه لما احس بمثل هذا الالم .. ومع ذلك ضحك مع رفيقيه .. ضحك من شفتيه ، واخذ يهذى .. كان يود ان يقول لرفيقه : « لا تقل لاحد » وكيف يقول ؟ ودق الجرس .

ود ان يتمسك به ودفعه الخجل والحيرة عن ان يفعل .. جلس وحده فى الدرس ، وبالغ ، وهو الشرس بالتلطف معه رغم القشعريرة التى تسرى فى جسده .. ساعده فى حل تمارين الرياضيات وقرر ان يساعده فى كل وظائفه ودروسه ..

كان بالنسبة له الانسان الذى يمسك بخيوط غروره يحطمه متى شاء. ومضت السنون وتخرجا، وهو كلما رآه يحس بذات القشعريرة، وتحول القطعة السميكة كتلة اعصاب تتألم .

ما اشبه الليلة بليلة الامس البعيد ، عندما صعد الى المهجع ودس الحذاء فى مكانه وهو منهار ، وتسمرت عيناه بالسقف على صور ثلاث : عين وقحة تبصق بوجهه، وقطعة جلد سميكة كركبة البعير ، يقترب منها بتؤده راس مظلة حديدي يخزها فتقىء صديداً .

تلك الليلة لم ينم لان قدمه اليسرى ظلت تبكى حتى الصباح .

الدكتور فؤاد ايوب

قضايا الابداع الفنى
على ضوء أمثولة عصر النهضة
-2-

ان لكلمة الابداع معنيين ، فهى قد تعنى فعل الابداع بحد ذاته، او نتيجته النهائية . وانها لتشير فى الحالة الاولى الى قوة تتفعل وطاقة تعمل ، اما فى الحالة الثانية فتشير الى حقيقة قائمة بذاتها . وهى تنطبق على الكون اذا كان المقصود الابداع الالهى ، اما اذا كان المقصود هو الابداع البشرى فانها تنطبق على كل اثر — كامل او ناقص — لا ينطوى على اية صيرورة .

وان القضايا التى يثيرها وجود الابداعات الانسانية ليمكن اعتبارها من وجهتين للنظر . فاذا نحن عنينا بقيمتها الجمالية ووقفنا اهتمامنا على الاسلوب المخصوص لاحدها ، فاننا سنحاول ان نصف وان نلقى النور قدر استطاعتنا ، بالتحليل ، على العالم الجديد الذى يشكله عمل الفنان . اما اذا كانت غايتنا ، كما هى الحال هنا ، عدم الفصل بين عمل اى فنان معين واعمال الفنانين الاخرين ، وكذلك

مدم فصل هذه الاعمال عن مجموع المنتجات البشرية ، تاركين هكذا الكلمة « الفن » امتدادا جامعا ، فاننا سنتبين فى كل شىء صنعته يد الانسان عنصرا فى « الابداع الفنى » .

واذا ما فهمنا الابداع بهذا المعنى فانه سيكون له جمالاته وبشاعاته ، لكنه لن يكون من حقنا الحكم عليه ، اذ ان اهتمامنا سيكون موقوفا بصورة رئيسية على وجوده ، على امكانية وجود اشياء جديدة فى الطبيعة ، اشياء تضاف الى هذه الطبيعة ، وتتحد بها ، وتعدلها ، وذلك كله بواسطة الانسان نفسه .

وهذا ما يقوله ميشل انجلو فى هذا الشان . انه يتحدث فى معرض امتداح التصوير ، لكنه لا يقصد بالتصوير تقنية مخصوصة ، بل يعطيه معنى عريضا جدا ، يشمل سائر الفنون به ، ما دامت تنشأ جميعا عن الرسم وتؤول الى مشهد . يقول ميشل انجلو : «فاروح افكر احيانا انه ليس عند البشر سوى فن واحد ، الرسم او التصوير . ذلك انكم اذا اخذتم بعين الاعتبار جيدا كل ما يحدث فى هذه الحياة فانكم واجدون بكل تاكيد ان كل امرىء يسهم ، دون دراية منه ، فى تصوير هذا العالم سواء بخلق اشكال وصور جديدة وانتاجها ام بارتداء ثياب منوعة ، وبتشييد ابنية ومنازل تملأ الفراغ بالوانها ، وبزراعة الحقول التى تغطى التربة بتصاوير وتصاميم ، وبالابحار بالاشرعة فوق البحار ، ام كذلك فى المعارك وترتيب الجيوش ، واخيرا فى المآتم والجنائز وفى معظم عملياتنا وحركاتنا واعمالنا .»

فاذا كان كل فنان يضيف الى الكون عالمه الخاص ، فان هذا العالم يتنضد مع عوالم الفنانين الاخرين ، يعنى البشر جميعا ، فيسهم هكذا كل فرد فى تصوير العالم ، فى اعطائه وجها جديدا بفضل خلق اشكال جديدة . وان ميكل انجلو ليعبر هنا بكل قوة عن حقيقة تخفى

عن انتباهنا بكل سهولة من جراء وضوحـــها : ان ســـطـــح الارض المسكونة لا يماثل سطح الارض العذراء ، والمدينة او الحقل المزروع ، او الجيش الذى يقوم بحملة حربية ، او الشراع السابح على سطح البحر ، هذه جميعا مشاهد من صنع البشر ، وهى بالضبط مواضيع لوحات ميكل انجلو واعماله .

ولا عجب ان تطرح مسالة الشكل الاصطناعى — التى شغلت فلاسفة العصور القديمة والعصر الوسيط كثيرا — من جديد عـــلى بساط البحث على اعتاب العصور الحديثة ، حين كانت سائر الفنون ومختلف الصناعات فى حالة ازدهار ، وحين كانت الاكتشافات تتلاحق، وكان تقدم العلوم فى تسارع متصل . وبالمقابل فقد كان التامل فى هذه القضايا يقود بالضرورة ، فى زمن يخضع التفكير الفلسفى فيه للاهوت الى مقابلة الاعمال الانسانية باعمال الطبيعة ، او الله ، والمقارنـــة بين ما تصنعه يد الانسان وبين الطبيعة المصنوعة .

وكان ثمة رايان متناقضان فى هذا المجال .

فقد كان الانسان ، « الفنان العمومى » ، الها علـــى الارض بالنسبة الى فيتش Ficim, وكانت خصائص الاثر الفنى ، من جهة اخرى ، تعزى الى الالوهية التى لا تخلو من بعض الصفـــات الانسانية . ان الكون هو نموذج الاثار الفنية ، واذا لم تكن هذه الاثار تباريه ، فانها تحتفظ على اية حال بشىء من كماله ما دام الانسان لا يخلو ، بفضل مبقريته الخلاقة ، من الفكرة الالهية .

اما جيوردانو برونو ، فاذا وازى بين الابداعـــات الالهيـــة وابداعات الانسان ، فانه يستهدف غاية اخرى من مقارنته . انه لا يفتش فى الشبه بين منتجات الفن ومنتجات الطبيعة عن سبب من اجل

تمجيد عبقرية الانسان ، بل يعنى بالفوارق بينها فقط . وأن هـذه الفوارق لتقوم فى الاساليب اولا ، ما دامت الطبيعة تفعل « من الداخل» وتنمى الكائنات ابتداء من بذورها ، فى حين يعمل الانسان من الخارج « على سطح الشىء » الذى بين يديه ، ثم انها تقوم فى النتائج ثانيا ، ما دامت الكائنات الطبيعية ذات حياة (أن للمعادن نفسها «روحا»)، فى حين ان منتجات الصناعة الانسانية — فى هذه الخاصية بالضبط — ليست كذلك . ففى تمثال من الخشب او من الحجر تخترق روح العالم الخشب او الحجر وحدهما ، من دون التمثال بحد ذاته : انها تخترق المادة ، وليس هذا الشكل او ذاك من الاشكال التى تحصل بصورة مصطنعة . ان مديح الفنون ، وهو موضوع لا ينضب معينه فى الاداب الانسية ، نادر عند برونو ، وليس عليه سوى مثال وحيد ، حين يقول برونو ان « الفن يتجاوز الطبيعة فى بعض الامور ويختلف عنها فى اشياء اخرى » وانه يختلف عنها فى عدم احتفاظه من الاشياء سوى بشكلها الخارجى من دون جوهرها ، لكنه يتفوق عليها فى تثبيته للامـور التى يحتفظ بها والاستقلال بها عن الزمان. فالطبيعة «عـاجـزة عن الاحتفاظ » بتلك الاشكال التى يودعها الفنان « الحجر او الماس »، وذلك « لان هذه المادة المتحركة سرعان ما تهضم كل شىء » ان المثال او الرسام ، كى يستحضرا ما هو غائب ، يثبتان ملامح الوجه على سبيل المثال ، مثلما يثبت الكاتب الكلمة ، هذه الكلمة التى تسيـل وتتجه فيما يبدو الى العدم . لكنه اذا كانت الصورة لا تشيخ ، واذا كان النعى المودع فى الرق او الحجر يؤبد كلمة حية ، فذلك لان الشىء المصطنع مجرد من النفس فالفن ابعد ما يكون عن منافسة الطبيعة او المشاركة فى مجهودها ، بل هو لا يفعل سوى اغنائها باشكـال ميـتـة .

وهناك بعض الاراء المتوسطة بين هذين الرايين المتطرفين الذين يفصل قرن كامل ما بينهما، واللذين يمثلان على طريقهما الخاصة اوج الانسية وتدهورها . ان فارشى يميز فى الكون (وهو كون ارسطوى كليا !) الاشياء الابدية وغير المتبدلة للعالم السماوى والاشياء الخاضعة للتغيرات والطوارىء ، يعنى سائر الاشياء التى تخص العالم الواقع تحت القمر ، دونما استثناء مطلقا . ومن ثم فان فارشى يفصل ، من بين هذه الاشياء الاخيرة « الاشياء الطبيعية » (ومثالها الانسان) من « منتجات الفن » (ومثال ذلك نوح) ، والفارق بين هاتين المقولتين من المخلوقات هو ان «الاشياء الطبيعية تملك دائما مبداها فى ذاتها ، فى حين ان مبدا الاشياء الاصطناعية قائم فى المغير » ، فى « الصانع الذى يشتغلها من الخارج » ويبدو للوهلة الاولى اننا قريبون جدا من برونو ، لكنه يجب أن نلاحظ ان هذا التقرير المادىء لا يرافقه اصدار اى حكم قيمى : ان كون مبدا المنتجات الفنية قائما خارجا عنها لا يسمها بالتخلف مطلقا . ولا يعتقد فارشى ، مثل برونو ، ان المادة الهية ، وان الكون متجانس ، وان سائر الكائنات الطبيعية مشربة بروح العالم ، فى ان التمييز الاولى بين العالم السماوى والعالم تحت القمرى قد مكنه ان يضع منتجات الطبيعة التى تشكل فى هذه الارض الدنيا حقل تجربتنا فى مستوى يخلو عنده مقارنتها مع منتجات فنوننا من اى سخف او دنس . بل الاكثر من ذلك ان هناك اشياء نتساءل فى اى من هاتين المقولتين ينبغى لنا تصنيفها ، وهى تلك الاشياء التى تصنعها الحيونات ، كشبكة العنكبوت او عش السنونو ، وهما تركيبان نذهل ونحار امام فنهما العليم . لكن فارشى ينكر صفة الفن على الشبكة او العش اللذين « يبدو انهما

صنعا بفن وليس كذلك فى حقيقة الامر ، اذ لم يصنعا بصورة عاقلة بل بفضل غريزة طبيعية .. » وحين يستخدم فارشى كلمة العقل هنا ، فانه لا يقصد ان يفرق بين الاثار الفنية الخاضعة لمنهج وقاعدة وبين الاثار المنقادة « لحميا » الالهام . ثم انه يجب الا ننسى ان المقصود هنا ليست هى الفنون الجميلة وحدها ، بل سائر الفنون على الاطلاق ، وانه ليس ثمة ابداع انسانى لا ينتسب الى العقل بمعناه الواسع . ومن هنا كانت تلك الحرية الفكرية ــ المنتقلة الى الله ــ وهى الحرية التى تصنع عظمة الانسان الخالق وتصنع ضعفه فى الوقت نفسه ، ما دامت تخصه بمركز متوسط بين الالهى والحيوانى ، بتجعله بالتالى عرضة للخطأ فى مفاهيمه ، واقل يقينا فى ادائه ، فى حين ان الحيوان لا يخطىء قط ، كما ان الله معصوم ، واعماله تشهد على ذلك .

واذا لم تكن اضافات الانسان على آثار الطبيعة مخلوقة من العدم ، بل من مادة تكمن هذه الاضافات جميعا فيها بالقوة ، فهى لا يمكن ان تكون اذن سوى اشكال جديدة . ويقول فارشى ان مسألة تكوين هذه الاشكال قد طرحت فى الصور القديمة من قبل افلاطون الذى يلجأ ، اذ لم يدرك كيف تنخرط الاشكال فى الاشياء (يعنى فى المادة) ، الى «الافكار» ، هذه النماذج الموجودة منذ الازل، فى حين يحذف ارسطو وتلامذته المسألة من اساسها ، فلا يقبلون مادة دون شكل اكثر مما يقبلون شكلا دون مادة . وان هذا الجدال ليترك قضية الشكل الاصطناعى فى غموض ، حتى ان ابن سينا نفسه يهمله كليا حين يتصور ذكاء مانحا للاشكال .

وهل صحيح ، من جهة اخرى ، ان هذه الاشياء هى مجرد اشكال ؟ انه لمن البديهى ان المادة الاولية لا يمكن ان تخلق من قبل الانسان ، فهى اما ان تكون ازلية واما ان تكون من صنع الله .

لكن الانسان يملك القدرة على اصطناع اجسام جديدة انطلاقا من الاجسام المختلفة ، البسيطة او المركبة ، التى تزودنا الطبيعة بها. ان فى مكنته ان يغير المواد الطبيعية باخضاعها لظروف فيزيائية مناسبة ، الشعرى مثلا ، كما ان فى مكنته ان يمزجها ويحصل من مزجها على اجسام جديدة . ومهما يكن تعليل هذه الظواهر فاننا نتبينفى المواد او الاشكال التى تنتجها الصناعة الانسانية وجود صفات جديدة كان انبثاقها يتراءى غامضا حتى ان البعض حاولوا تفسيره بالمؤثرات النجمية . ومهما يكن من شيء ، فان هذا السر حقيقة واقعة لا مراء فيها . ان الرسام يستطيع ان يحصل ، من مزج الوانه ، على لون جديد قد ترتاح له ابصارنا او تنفر منه ، مثلما يحصل الصيدلى من مواده البسيطة على مركب جديد ، قد يكون عقارا شافيا وقد يكون سما قاتلا . ولقد كان يبدو من المحير بصورة مخصوصة ان تحصل من مزج مادتين غير ضارتين بل نافعتين ، على سم زعاف . اليس فى ذلك برهانا ساطعا على القوى التى تملكها الطبيعة .

واذا سلمنا بان كل ما يوجد فى هذا العالم مصدره الطبيعة، فما هى فى آخر المطاف الصفات الخاصة بمنتجات الفن ؟ ايجب ان نفتش عن هذه الصفات فى الحقيقة التالية ، الا وهى انها تفترض تدخل العقل ، وانها تنتج من قصدونية سابقة ؟ لقد راينا ان ميكل انجلو لم يكن يشك مطلقا فى ان التنفيذ المادى فى كل اثر فنى تسبقه «الفكرة» ، بل هو يعزو الى هذا الجهد الاولى الذى يبذله الفكر اهمية وقيمة اعظم من عمل اليد . وهو يقول : « ان الرسام السىء لا يستطيع ولا يعرف حتى فى الفكر ، ان يتخيل ، كما لا يرغب فى صناعة رسم جيد ، كما تشهد على ذلك آثاره التى لا تختلف فى اغلب

الاحيان الا قليلا عن مفهومه ولا تختلف عنه مطلقا . ذلك انه لـو كان فكره قمينا بمفاهيم جميلة ورائعة ، فما كان يمكن ان تكون يده فاسدة جدا بحيث تطمس كل اثر او قرينة من رغبته الجيدة . لكن الذكاء وحده ، الذى يفهم الجمال ويدرك حتى اية درجة يمكنــــه بلوغه ، لقمين بالرغبة الجيدة فى هذا الفن » .

ولو كانت الطبيعة عاجزة عن القصد او «الرغبة الطيبة» فقد كان الشيء الاصطناعى يختلف جوهريا عن الشيء الطبيعى ، ثمـرة الصدفة ، فيصبح الاثر الفنى المكتمل متفوقا على عمل الطبيعـة . لكننا نعرف ان الامر ليس كذلك بالنسبة الى ميكل انـجلـو ، وان الطبيعة عنده مرتبطة بالالوهية ، فليس فى العالم خليقة — اكائنا بشريا كانت او جسما عنصريا — لم تسبق فكرة الهية دلالتها . ان كل شيء موجود سلفا فى الله حتى ان وجود نفوسنا «فى السماء» قبل ولادتنا امر بدهى كليا عند ميكل انجلو بحيث يشكل احد مواضيع رسومـه فى كنيسة السكستين .

وبما ان التجاوب مع القصد ليس ما يميز منتجات الفن عـــن منتجات الطبيعة ، افلا ينجح الفارق الاساسى بينها عن اسلوب اداء كل منها ؟ ليس فى هذا العالم شيء الا وهو تحقيق لمشـروع سابق ، تحقيق لاحد مشاريع الطبيعة فى آخر تحليل ، يعنى مشروعا الهيا . بيد ان الشيء الذى يصنعه الانسان او يركبه لا يلبى امنية الطبيعة الا بصورة غير مباشرة : ان مبداه يقع خارجا عنه وليس فيه ، ونموذجه المثالى هو مفهوم يصوغه وعى يتمتع بالحرية ، وبالتالى فهو قمين بالخطأ . ومن هنا كانت عظمته الخاصة ، ونقائصه فى الوقت نفسه . حين يقلد رسام كائنا طبيعيا — زهرة على سبيل المثال — فانه مـن الواضح تماما انه الى تبسيط معطى تغزر تفاصيله بصورة غيـــر

محدودة : انه ينتقي اغراضه ، ويحذف ، ويحرر ، وهذا هو بالضبط ما يميز الكائن عن صورة الكائن وما يصنع جماله ، اذا ما كان الانتقاء صادرا عن «الرغبة الطيبة» . وهكذا فان الطبيعة هي المثال الذي يجب ان يحتذيه الفنانون جميعا ، المعماريون منهم والرسامون على حد سواء . وعلى حد تعبير البرتي ، فانه يجب ان يكون البناء « مثل كائن حي » ، وان يتجاوب كل ما يخرج من بين يدي الانسان مع تناسق عمومي ، غير منفصل عن انطلاق حيوي عارم . وتلك هي القاعدة المشتركة بين سائر الفنون ، وكل مبدع عظيم يطبقها تلقائيا ، حتى دون وعي منه ، وبذلك يعطي اعماله صفة من الضرورة

خذوا كمثال القديس متى في اكاديمية الفنون الجميلة في فلورنسا — وهو من اروع التماثيل **الناقصة** التي تركها ميكل انجلو — ان شارل دي تولويني يقول عنه : « ان الالم يتولب ويلوي هذه الاشكال الجبارة التي يبدو انها تنجم عن **انبثاق صادر من الباطن** » فعلى الرغم من ان التمثال مصنوع من الخارج ، فانه يلوح منبثقا من الداخل، ينتزع ذاته من الحجر ، ويتشكل بفضل النمو . ان هذا الاثر الفني ينازع الكائنات الطبيعية خاصية » امتلاكه مبداه في ذاته » .

بيد ان ذلك مجرد وهم تسببه العبقرية . فالاثر الفني لا يمكن ان ينمو ، ونضوجه وتفتحه تابعان لارادة خارجية ، ليد اجنبية . ولما كان ثمرة للعمل ، فانه شاهد على هذا العمل ومثبت له ، وهو يجمد حالما يتركه خالقه ، وفي الحالة التي يهجره فيها .

وقد يختلف الناس بشان قواعد الفن ، وحدود ميدانه ، وطرائقه واغراضه ، لكنهم يتفقون جميعا على ان كل اثر فني ، كل ما يخرج

من بين يدي الانسان ، هو نتيجة العمل . وتلك هى الهوة التى تفصل نوعين من الخلق ، والتي تشهد عليها الصور التى تمثل خليقة الايام الستة وبهاء الانسانية الوليدة ،و هى الصور التى رسمها ميكل انجلو والتى تزين جدران الكنائس وقبابها . ان الله ، فى قوته الكلية وفى ملء راحته ، يفصل النور عن الدياجير ، ويرتب العناصر ويوزع الكواكب فى السماء ، وينبت على الارض الحيوانات والنباتات. صور رائعة، يعقبها بعدا لسقوط جريا فى قصة معذبة ، تتخللها مراحل الشقاء الانسانى . اعمال آدم وحواء، وبناء الفلك ، وتشييد برج بابل . وهكذا فان عناء الانسان هو شرط وجوده ، وشرط سائر اعماله ، سواء اكانت هذه الاعمال تلبية لامر الهى وللرغبة فى الخلاص ، ام كانت تحتيقا لطموح آثم وارضاء لغريزة التمرد .

اجل ، ان تجربة ميكل انجلو الشخصية قد علمته ان الفن والعمل لا ينفصلان ، وان العمل فى الاصل هو عقاب هذه الطبيعة البشرية التى جرحها البشر . وهل يعبر وجه الفجر الذى ينتزع نفسه من النوع سوى عن الهلع والالم حيال توقع اليوم الجديد ؟

وحين سئل عن رايه فى ايهما الافضل ، الرسم العجول او المتمهل ، اجاب بأن الشيء الرئيسى هو الرسم الجيد . وحين يقول ان على ذلك الذى لا يستطيع ان يصنع الاشياء جيدا الا على مهلته ان يشتغل اذن على مهلته ، فاننا نتبين الحذر فى جوابه . ان بيس كلماته تفضيلا سرعان ما يؤكده : « انه لمن الحسن جدا والمفيد جدا ان نصنع الاشياء جميعا فى سرعة ومهارة . وانه لمن هبات الله ان يرسم المرء خلال ساعات ما يحتاج امرىء آخر الى ايام عديدة من اجل رسمه .. » لكن للعجلة محاذيرة على اية حال : « ليس للرسام

الجيد الحق فى الانسياق مع لذة مهارته اذا اغرته ان يتهادن فى سعيه الى الكمال او يهمله .» فاذا كان المرء معنيا بالكمال ، فلا بد له من الجهد والتمهل اذا اقتضى الامر ذلك ، وكلما اقتضى الامر ذلك ، يعنى فى اغلب الاحيان ، بل دائما . بيد ان لذلك شرطا اساسيا على اية حال ، الا وهو عدم انفتاح هذا التمهل فى الاثر المكتمل : « ان ما يجب ان يبذل فى سبيله اكبر قدر من العمل والكد فى اعمال الرسم هو ان نصنع ، لقاء جهد عظيم ودراسة مرهقة ، شيئا يبدو لدى النظر اليه كأنه صنع عمل عجل ، دون ادنى عمل ، وكيفما اتفق تماما ، على الرغم من ان الحقيقة هى خلاف ذلك » ولقد كان ميكل انجلو يحب ان يقول ان « الرسوم الوحيدة المصورة جيدا هى تلك التى يكون الجهد فيها خافيا » ان الكمال ــ فى الاشياء المصطنعة ــ يتطلب هذا الكذب . اما اولئك الذين لا يستطيعون ان يزعموا الكمال ، فانهم يظهرون دائما افضل امكانياتهم فى الاداء العاجل لمشاريعهم : « اذا كان المقصود هو مجرد النجاح او الخطأ ، فانى اعتقد ان الافضل هو النجاح او الخطأ سريعا بالاحرى منه فى بطء ، وانى افضل رساما عجولا يصور بصورة اقل جودة على رسام آخر ، بطىء جدا ، يرسم بصورة افضل ، لكنها ليست افضل كثيرا ».

اننا نتبين فى هذه النصائح الموجهة الى الرسامين قاعدة عامة تماما ، تطبق على كل ابداع فنى وعلى كل عمل انسانى . اما ما ينبغى الحصول عليه ــ حتما لقاء جهود مضنية ــ هو وهم السرعة ، وامحاء آثار ، ان الابداع الفنى يتميز بجهد الفكر عن الفعل الغريزى للحيوانات الدؤوبة على العمل . وانه ليتميز بجهد الفكر وجهد اليد عن الفعل الخالص ــ هذا الفعل الذى يجسد القوى بكل راحة وهدوء

ـ الذى هو فعل الله او الطبيعة . ان الجهد هو شيء موقوف على الانسان وحده ، وقد يكون عقابا له وقد يكون امتيازا خاصا به ، ومما لا ريب فيه أن من واجبنا ان نمجده ونعجب به . واذا كان الانسان يترجى ان تنتسب اعماله الى اعمال الخالق ، فان عليه ان يدمر مسوداته ، واذا امكنه ذلك الا يترك شيئا ينبيء عن دراساته، وعن همومه المختلفة ، وعن بطء تحضيراته . وهو لن يفعل ذلك قصد الاحتفاظ بسر وصفة عجيبة يملكها ، بل بقصد مساواة الطبيعة ، او الانصهار فيها على اقل تعديل ، والاتحاد بنسقها ، والانخراط تحت جناحها . وعندئذ فان عمل الفنان سوف يصبح مثل حقل من الازاهير ، وميراث الحضارة سوف يصبح مثل مظهر من مظاهر سطح الكرة الارضية . ان امحاء الخطط الالهية هو ما يسمح بانكار وجود الله وعزو نشوء هذا الكون الحياتى الى المصادفة وحدها . وهذا مثال يعرض على الانسان كى يحتذيه . فليحتذه ، وعندئذ تتكرس جهوده . واذا ما خلقت الانسانية بعد موتها « عالما مرسوما» فانه يجب ان يتراءى هذا العالم ، فى عيون جنس بشرى جديد ، وكأنه يملك مبداه فى ذاته ، على الرغم من ان الحقيقة خلاف ذلك . انه لينبغى ان يكون وجود صانعيه موضع الريبة ، بل يجب ان يحظى هذا الوجود بشرف ابتكاره كليا .

من « ديوجين »

محمد عابد الجابرى

الديموقراطية كوسيلة وهدف

من الكلمات والمفاهيم ما كثر تداوله واستعماله الى درجة أصبح معها « واضحا » وضوح المألوف من الاشياء ، ولكن من الصعوبة تحديده وتعريفه !

و « الديموقراطية » من هذه المفاهيم والكلمات .. فنحن عندما نستعمل هذه الكلمة نقصد « شيئا » من ورائها ، ولكن عندما نطرح على انفسنا سؤالا مثل : ما هو ـ بالضبط ـ هذا « الشىء » الذى تعنيه هذه الكلمة ، فاننا نفقد طلاقة اللسان ، وسهولة التعبير . وكل ما نشعر به هو اننا نبحث عن شىء كان يتراءى لنا اننا نعرفه ، فاذا به ملفوف ، اشد ما يكون اللف ، فى غموض نصف شفاف ، فلا هو يكشف عما وراءه ، ولا هو يسد لمن حوله ستارا لا نفاذ من خلاله .

امام هذا الموقف ، يبدو ان استعراض تاريخ هذه الكلمة قد يساعدنا على تفهم معناها الذى تعنيه بالضبط .. ولكن حتى لو فعلنا هذا لما خرجنا بغير نتيجة واحدة ، وهى ان مفهوم الديموقراطية قد تغير وتبدل ، وانه فى تطور دائم ، يستمد حركته التطورية من حركة التطور التاريخى التى لا تنى ولا تقف .

ففى كل عصر ، بل ربما اثناء العصر الواحد نفسه ، كان هناك مفهوم للديموقراطية ان لم يكن مخالفا للمفهوم الذى ساد قبله ، فهو على الاقل مغاير له الى حد كبير .

تطور معنى الديمقراطية

ان اللفظة يونانية ، واعتقد ان الذى استعملها اول امر ، كان يقصد منها التعبير على « فكرة مثالية » اكثر من التعبير على واقع حى ، او على تجربة ممارسة او تمكن ممارستها .

ان « حكم الشعب نفسه بنفسه » وهذا معناها اليونانى الاصلى ، اعتقد انه ما تم ولن يتم فى اى عصر من العصور : ان فكرة « الشعب » تستدعى مقابلا لها ، وهو فكرة « الدولة » . فمن الصعوبة تصور «شعب» دون نوع من التنظيم يربط هذا الشعب . ومن الصعب كذلك تصور «تنظيم» دون نوع من الجهاز الرابط المنسق . وكيفما كان هذا الجهاز فانه لا يمكن الا ان يكون «دولة» او مؤسسة قريبة الشبه بها . ثم ان كلمة «حكم» نفسها لا يتحدد معناها الا اذا كان هناك طرفان : احدهما حاكم ، والاخر محكوم . هذا ، علاوة على الاداة او الوسيلة التى تجسم العلاقة الضرورية بين هذين الطرفين .

وهكذا فان تعريف الديموقراطية على انها ((حكم الشعب نفسه بنفسه)) هو تعريف لا يمكن ان يوجد له مجال للتطبيق الا فى احدى تلك ((المدن الفاضلة)) التى وجد فيها متخيلوها نوعا من الملجأ هربوا اليه فى متاهات ((عالم الفكر)) عندما لم يجدوا فى عالم الواقع اية امكانية لتطبيق آرائهم و ((مثلهم)).

وفى عهد الرومان ، كما فى القرون الوسطى ، ارى انه ما كان فى مكنة اى شخص عاقل ان ينشد الديموقراطية فى معناها الذى ذكرنا : ((حكم الشعب نفسه بنفسه)) ، فكل ما يمكن ان يطلبه آنذاك ((عاشق)) الديموقراطية او ((المناضل)) من اجلها هو مجتمع لا يقسم فيه افراد الشعب بصفة رسمية الى سادة وعبيد ، او الى نبلاء واشراف من جهة ، والى ارقاء واقنان من جهة اخرى .

اما فى العصر الحديث فان مفهوم الديموقراطية قد ارتبط بفكرة الانتخاب . فاعطاء ((حق الانتخاب)) لجميع افراد الامة رجالا ونساء كان يجسد المعنى الواقعى للكلمة !

الديمقراطية السياسية .. بدون مساواة

غير ان الانتخاب ليس كل ما فى الديموقراطية من معنى . نعم ان الانتخاب نوع من ((الديموقراطية)) . ولكن ليكون الانتخاب انتخابا حقيقيا يجب ان يبنى على اسس ديمقراطية ! اى على اساس المساواة فى الامكانيات والامكانات والوسائل . والا فان ((الديمقراطية)) التى تهدف الى ((انتخاب)) الشعب لمن يحكمونه ، لا يمكن ان تسفر الا على حكام من فصيلة واحدة ، او بعبارة اخرى ، من طبقة واحدة : الطبقة الحاكمة ابدا فى ظل اوضاع تفتقر الى المساواة .

وفى العالم الغربى اليوم تعنى الديمقراطية اولا الحرية السياسية ليتمكن ((المواطنون)) من اداء ((واجبهم)) الانتخابى ، وتعنى ثانيا الحرية الاقتصادية (الليبرالية) ليتمكن ((كل شخص)) ـ حقيقى او معنوى ـ من القيام بنشاطه الاقتصادى حسب وسائله وامكانياته دون اى تحديد لمجال حريته وتصرفه ، ودون اى توجيه فى اى جانب من جوانب هذا النشاط .

والنتيجة الحتمية لهذا النوع من ((الديمقراطية)) هو اللاديمقراطية!؟ ذلك لان ((الحرية السياسية)) و((الحرية الاقتصادية)) هما حرية حقا ، ولكن لمن يستطيع التمتع بهما . وبما ان التفاوت الهائل بين افراد الامة هو الطابع الاساسى للمجتمع الراهن ، فان الحرية السياسية والحرية الاقتصادية لا يمكن ان يستفيد منهما الا اولئك الذين يوجدون فى ((فوقية)) المجتمع . وهكذا تؤدى الديموقراطية ((الانتخابية السياسية)) والديمقراطية الليبرالية الى اللا ديمقراطية . فطبقة الراسماليين هم وحدهم الذين فى امكانهم استعمال هذه الحرية ، وبالتالى هم وحدهم المتمتعون بـ ((حق)) الحكم فى رقاب الشعب ، والتحكم فى موارده ومقدراته .

وهكذا ايضا ، بعد ان كان استبداد طبقة معينة على المجتمع يكتسى طابعا قسريا ((قانونيا)) ، اصبح اليوم بفضل ((الديموقراطية)) استبدادا ((اختياريا)) يستمد اختياريته هذه من ((الانتخاب)) الذى ((يتمتع به)) كافة افراد الشعب .

الانتخاب : الاختيار . والاختيار : حرية وارادة

وما هو الانتخاب الذى يشكل جوهر الديمقراطية السياسية ؟

ان الانتخاب معناه الاختيار . ان ينتخب الانسان ، معناه ان عدة امكانات توضع امامه ليختار منها ايا يشاء .

ولكن هل فى امكان كل فرد من افراد الشعب ان يختار !؟
الجواب : لا . بالتاكيد !

ليختار المرء يجب ان يكون حرا : ان يريد ، ويعرف ما يريد ، ولماذا يريد ، ويملك القدرة على تحقيق هذا الذى يريد .

وهنا توضع علاقة الحرية بالارادة. وهى علاقة كثيرا ما شغلت بال الفلاسفة والمفكرين .. ونحن هنا لن ننساق مع التفكير الميتافيزيقى فى هذا الموضوع .. وحسبنا ان نقول : ان الحرية تصبح استعبادا واستغلالا اذا كان هنا لكتفاوت فى القدرة على التمتع بها . ان حرية الشعب لا تعنى غير الاستبداد والاستغلال اذا كان افراده يعيشون فى اوضاع تتحكم فيها اللامساواة .

كيف يكون الفقراء احرارا جنبا الى جنب مع الاغنياء ؟ كيف يكون الجهال الاميون احرارا جنبا الى جنب مع من يملكون سلاح العلم والتفكير !؟

ان الجائع لا يمكن ان يختار ، لانه ليس باستطاعته ان يريد الا شيئا واحدا : هو الخبز .! والجاهل الامى لا يمكن ان يختار لانه وان تمكن من ان يريد فانه لا يعرف بالضبط ما يريد ولماذا يريد ولا يملك القدرة على تحقيق ارادته .

× × ×

من هنا نرى ان الديمقراطية تنحل فى الاخير الى المساواة . ولعل هذا هو المفهوم الشعبى للكلمة فى ايامنا هذه وفى بلادنا وامثالها من البلدان : اسال رجلا من الشارع : ماذا تعنى بالديموقراطية ؟ انه سيجيبك بكلام تلخصه فى النهاية كلمة المساواة . المساواة فى الحقوق ، فى الواجبات ، فى ظروف العيش ، فى قاعات

المحاكم ، فى دهاليز الادارة ، فى ابواب المـــدارس ... فى كل شىء . وبعبارة اخرى انه يفهم من الديموقراطية ما اصطلح على تسميتـــه بالديموقراطية الاجتماعية ، وبالتالى فهو لا يـــعـــير كبير اهـــتمـــام للديموقراطية السياسية ديموقراطية ((الانتخاب)) و ((الاحزاب))

هل اصبحت الديمقراطية السياسية عديمـــة الجدوى ؟

هنا نجد انفسنا مضطرين لالقاء هذا السؤال : هل اصبحـــت الديموقراطية السياسية عديمة الجدوى ، بل وبالا على الشعب ؟

قبل الاجابة عن هـــذا الـــســـؤال لا بد من الاشارة الـــى ان الديموقراطية السياسية ((انتخاب الحاكمين)) كانت ــ ولا تزال ــ يقصد منها ظاهريا على الاقل ــ الوصول الى اوضاع ينتفى منهـــا الظلم والحيف والمحاباة ، وبالتالى تتحقق فيها المساواة : فالشعب ــ وهكذا يقول انصارها ــ عندما ((يختار)) حاكميه يفترض فيه ان يختار من يفهمون رغباته واهدافه كما يفترض فى هؤلاء ان يعملوا وفق تلـــك الرغبات والاهداف ، والا فقدوا ثقة الشعب ، وبالتالى يبعـــدون من الحكم . ! ؟

فهل حققت الديموقراطية السياسية ، او هل فى امكانهـــا ان تحقق هذا الهدف ؟ ان التجارب المتعددة التى عرفها التاريخ ، لا تسمح بالرد بالايجاب ، ذلك لان القضية فى اساسها تتوقف ــ كما ذكرنا ــ على مدى تمكن وقدرة الشعب على الاختيار . وبغض النظر عن ذلك ، هناك واقعة اخرى لا بد من اعارتها كبير اهتمام : ففى كل عهـــد كان

هناك شعب ، وكان هناك حكام . وفى كل عهد كانت مصالح الطرفين متناقضة . والانتخاب عملية ضخمة معقدة ، يقوم بتسييرها الحكام انفسهم . ويوجهها — الوجهة التى يريدون — اولئك الذين يملكون وسائل الدعاية ويتقنون فنون تكييف الراى العام . وطبيعى ان تكون النتيجة لفائدة هؤلاء واولئك ، وهم من طبقة واحدة ذوو مصالح مشتركة . فمهما كان وعى الشعب قويا وسخطه على الاوضاع حادا ، هناك بالمقابل عدة وسائل وطرق لتزييف ارادته . وكم من مرات زيفت الانتخابات !؟ ان عمليتى الانتخاب والتزييف اصبحتا متلاحمتين لا تفترقان، خاصة فى البلدان التى برز فيها الصراع بين الشعب والحكام .

وانه لمن السذاجة ان يعتقد الانسان بان الحكام فى مثل هذه البلاد يقصدون من وراء الانتخاب ان يتمكن الشعب من اختيار من يحكمونه ، اذ انه لو توفرت لديهم مثل هذه النية بصدق لما كانوا فى حاجة الى الانتخابات او اى شىء آخر ، فالحل ابسط من ذلك كثيرا ، وهو ان يذهبوا لحال سبيلهم .

القضية ليست قضية انتخاب ...
وانما قضية صراع ونضال

ونعود الى سؤالنا السابق ، هل الديموقراطية اصبحت عديمة الجدوى . وبعبارة اخرى هلا يمكن للديموقراطية السياسية ان تحقق اهداف الشعب وآماله ، ومن ثم يجب الكفران بها ومحاربتها باعتبارها عملية تزييف وتضليل !؟

ارانی مرة اخری اؤجل الجواب عن هذا السؤا ل، لاطرح سؤالا آخر اساسیا فی الموضوع ! ما هی اهداف الشعب وآماله !

فی کل زمان ، وفی کل مکان یهدف الشعب الی حیاة افضل . حیاة خالیة من المظالم الاجتماعیة . انه وان لم یکن الرجل فقیرا معدما، فان مجرد وجود اناس بجانبه اکثر منه ثروة واکبر امکانیات ، یجعله یشعر بالحرمان ، بالظلم الاجتماعی . ولیس من الضروری ان یعی هذا الرجل حقیقة هذا الظلم ومصدره ، فان مجرد شعوره بالحرمان یجعله یعیش فی قلق وبؤس .

فاهداف الشعب اذن تتلخص فی خلق اوضاع یعیش فی کنفها فی غیر قلق ولا بؤس . وبدیهی ان مثل هذه الاوضاع لا یمکن (لخلقها) الا علی انقاض الاوضاع الظالمة التی یرزح تحتها . وهی نفسها الاوضاع التی تیسر لفئة قلیلة من الامة العیش ((الرغید)) والحیاة ((الکریمة)) .. ومن الطبیعی ان تسعی هذه الفئة و (تناضل) بکل قواها للحفاظ علی هذه الاوضاع کما هی علیه ان لم تعمل علی تنمیتها .

هناك صراع اذن بین اغلبیة ساحقة لا یمکن لاهدافهـا ان تتحقق الا بتغییر هذه الاوضاع ، وبین اقلیة تجد السعادة فی ابقائهـا وصیانتها . وهو صراع رغم حدته ، کثیرا ما لا تدرك کنهه وحقیقته تلك الاغلبیة نظرا لانواع کثیرة من اسالیب التضلیل المسلطة علیهـا وللخرافات والاوهام التی رکزت فی ادمغتها والتی جعلتها تعیش ، ان لم تکن فی یاس وتسلیم ، ففی عالم من الاحلام والمتمنیات والتشهیات : اسال فلاحا معدما فی ایة ناحیة من نواحی البلاد عما یتمنی ادراکـه یجیبك بانه یتمنی ان یملك کذا هکتارا ، وکذا بقرة وانه یرجو ان یصبح مثل السید فلان صاحب الاراضی الشاسعة والفیلا الفخمة والتراکتورات

والسيارات ... الخ . واسال عاملا في المعمل عما يتمناه يجيبك بانــه يرغب في ان يستريح من هذا العمل الشاق بان يكون صاحب معمــل ولو صغير او على الاقل صاحب عمل يسيره ويشتغل معه فيه اناس آخرون ! واسال اى بقال او اى صاحب دكان يجيبك بانه يتمنى ان يكون لديه حانوت اكبر واوسع وراسمال اضخم واكبر !!

اسال احدا من هؤلاء عن ما ذا يفهمه من كلمة ((ديموقراطية)) يجيبك ــ كما ذكرنا آنفا ــ بانه يفهم المساواة . ولكن المســاواة ((الفوقية)) لا المساواة ((التحتية)) ان صح هذا التعبير . انه يريد ان يصبح الفقراء اغنياء ، ولا اعتقد انه يرغب في ان يصبح الاغنياء فقراء ويبقــى واحدا منهم .

نعم، ليست هذه النظرة هي نظرة مجموع افراد الطبقة المحرومة ولكن هي بالتأكيد نظرة الغالبية العظمى منهم خاصة في البلاد المتخلفة حيث يسيطر التخلف الفكرى الى جانب التخلف المادى ، وحيث طبع النظام والاساليب الراسمالية عقول الناس .

ونعود الى سؤالنا السابق : امام هذا هل في امكان الديموقراطية السياسية ان تحقق اهداف الشعب ؟

الان نستطيع ان نجيب بكل وضوح .. لا . فالديموقراطيــة السياسية هي ديموقراطية للحاكمين والاغنياء . ولكن .. ليس معنى هذا ان نكفر بها ونحاربها . كلا . انها اذا نظرنا اليها من زاوية اخرى، وسيلة يمكن اذا احسن استعمالها ان تساعد كثيرا على تجليــــة الحقيقة الاجتماعية ، حقيقة الصراع التى اشرنا اليه اعلاه .

فالديموقراطية السياسية بما تدعيه من تاكيد وتوطيـــــد للحريات العامة ــ ولو بصفة شكلية ــ في امكانها ان تمنح كثيرا مــن

الفرص التى تمكن من تفتيح ادمغة الشعب على تلك الحقيقة . وبعبارة اخرى انها وسيلة ضرورية لتوعية الجماهير .

ان الحياة البرلمانية ، والحياة الحزبية ، و ((حرية)) الصحافة ومواسم الانتخابات كلها فرص وامكانيات توفرها الديموقراطيــــة السياسية لتوعية جماهير الشعب وتوجيهها توجيها نضاليا .

ولكن ما ذا نقصد بالتوعية ، ومن سيقوم بها .؟

ان جماهير الشعب ـ اى الطبقة المحرومة : العمال والفلاحون ومن على شاكلتهم من صغار التجار والصناع الذين لجاوا الى المدن والدكاكين لانهم لم يجدوا ارضا يحرثونها ولا عملا فى المعامل والمصانع ، ان الطبقة المحرومة هذه تشعر بالحرمان حقا . ولكنها لا تعى : لا تفهم ولا تدرك حقيقة هذا الحرمان واسبابه . ومن ثم فشعورها شعــور سلبى ، والحلول التى قد تقدمها للخروج من هذا الحرمان حـلـول ((طوباوية)) وآمالها آمال ((اشتهائية)) . كما سبق ان اشرنا الــى ذلــك من قبل .

وتوعية الجماهير هذه ، عملية تتلخص فى افهامها ان الحـــل الصحيح والوحيد للمشكل الاجتماعى الذى تتخبط فيه يكمن فى تغييـر الاوضاع التى ترزح تحتها : ان سعادة الفلاحين لا يمكن ان تتحقــق بانتقالهم الى مصاف المالكين الاغنياء . لانه لا يمكن ان يصبحوا كذلك . واذا تمكن بعضهم من ولوج طبقة الاقطاعيين فانما يتم ذلك عـــلى حساب آلاف الفلاحين الاخرين . فلا بد من ((الحمير)) ليكون هنــاك امير ، كما يقول المثل ((انت امير وانا امير فمن يسوق الحمير .))

والعمال ايضا لا يمكن ان تتحقق رفاهيتهم بانتقالهم الــى مصاف الراسماليين ، لانهم بكل تأكيد لن يصبحوا اصحاب معامل . ان

العمل لا بد له من عمال . وهم العمال .! ولا يمكن لحالة العمال ان تتحسن التحسن الكافى الدائم بتحسن فى اجورهم او فى وضعيتهم . لانه مهما تم لهم ذلك فسيبقون دائما مستغلين (بالفتح) محرومين . ان القضية ليست قضية اجور ، ولكنها قضية وضع ، قضية تركيبه اجتماعى .

يجب ان يدرك الكادحون هذه الحقيقة : ان الديموقراطيه الحقة ، وان العدالة الاجتماعية وان المساواة ... ان هذه امور لا يمكن تحقيقها الا بالنضال ، النضال الهادف الموجه . ومهمة التوعية هذه ، هى مهمة الطليعة الواعية : مهمة المسؤولين النقابيين ، ومهمه المثقفين : المثقفين الذين نزحوا من الطبقة المحرومة ولا زالوا يعيشون فيها ويحيون آلامها ولم ينفصلوا عنها ، والمثقفين الذين تجاوزوا بافكارهم ووعيهم طبقتهم المحظية فانفصلوا عنها نهائيا ونزلوا الى الشعب واندمجوا معه بعواطفهم وافكارهم وسلوكهم .

ان توجيه نضال الفلاحين من اجل الارض ، من اجل الاصلاح الزراعى ، من اجل القضاء على الاقطاع ،، وان توجيه العمال للنضال ليس فقط من اجل تحسين اجورهم بل ايضا — وهذا هو المهم — من أجل تأميم المعامل والمصانع والمناجم ووسائل النقل . ان هذا وذاك لهو المهمةا لحقيقية للمواطن الطلائعى ، وان هذا وذاك لهو الطريق الصحيح لتحقيق الديموقراطية الحقة ، الديموقراطية الاجتماعية .

وواضح ان هذه المهمة لا يمكن القيام بها الا فى ظل من الحريات العامة ، بعبارة اخرى فى كنف الديمقراطية السياسية . وهنا تبرز العلاقة بين الديموقراطية السياسية والديموقراطية الاجتماعية . انها علاقة « دياليكتيكية » جدلية . فالديموقراطيه

الاجتماعية لا يتأتى العمل على تحقيقها الا فى ظــــل الديمقراطيــــة السياسية ، وهذه الاخيرة ايضا لا يمكن تحقيقها نظيفة خالصة الا فى اوضاع تسودها الديموقراطية الاجتماعية .

يجب هنا ان لا نسال من السابق على الاخــر « البيضـــة ام الدجاجة » . لان وضع المسالة على هذا الشكل وضع خاطىء تماما .

ان نضا ل الطبقة الكادحة يجب ان يكون على واجهتين : النضال من اجل الحريات العامة : الديموقراطية السياسية كوسيلة ، والنضال من اجل الديمقراطية الاجتماعية كهدف . ومن الحكمة ان لا نجعل كبير فرق بين الهدف والوسيلة فى هذا الموضوع ، لانه متى تحقق هذا الهدف بتلك الوسيلة اصبح الهدف وسيلة والوسيلة هدفا.

محمد عابــد الجابرى

اعـــتـــراف

نحن قد خنا الرسالة
وخنقناها بجبن فى الصدور :
يوم صافحنا بود وحرارة
يد لص يقطر الدم منها الف مرة
نحن اصبحنا خفافيش .
نغنى فى المقاهى ونثرثر
فى شعارات سياسة
فى بطولات .. سمعناها .. قرأناها .. فى الكتب
نحن أصبحنا « يهوذا »
كلنا ذاك السفيه ،
يوم سلمنا الامانة
للصوص حقراء ..

واقتسمناها .. معا ! !

ومضينا .. نزرع الصحراء امنا ، وسلامة

ومضينا .. نحمد الله على الخير العميم

ويغني نجمنا الوهمي ، لافض فوه

لانتفاضات الخيانة !

يا صليب الصمت لا تشحهش !

فما يجدى البكاء ..

نحن متنا .. وانتهينا يوم خانتنا العبارة ؟ ! !

البيضاء : احمد الجوماري

١٩٦٤/٢/٧

سلمان على التكريتى

شواعها وشاح

قصة عراقية

العيون تحدق فى، شرفات بغداد كلها عيون تحدق فى .. تغور فى اعماقى .. تفتش عن عيب صغير فى جسمى . وجسمى كله فى حزمة من الشوك اسمها الملابس . الكل لا يعرفنى من خلفها ، وانا لا اعرفهم ابدا من خلف ملابسهم . ومع ذلك هم يريدون ان يكتشفوا شيئا جديدا ، غريبا يصلح لتمليقاتهم وتندرهم . حتى يداى قد اخفيتهما فى جيبى سروالى . لن يروهما ، ما دامت الحرارة لا ترتفع عن ثمان درجات تحت الصفر . البرد يقضقض العظام ، ويقرص الاجسام ، والبيوت ليست ادفا من الشارع ابدا .

لن اعود الى البيت ابدا ، حتى وان كانت السماء مكفهرة ، والنجوم مختفية خلف تخوم السحاب . لن تتلألأ النجوم ولن تبرق .

الليل اوحش من عيون الذئاب ، وأنا وحدى اجوب طرقات بغداد ، ولا ارى منها سوى الشرفات .. سوى العيون السود المطلة على الازقة الضيقة ، ولا اسمع سوى دقات القبقاب على بلاط البيوت ، ورائحة النجوم ممتزجة برائحة العطور التى فغمت انفى من اعطاف امراة .. ذكرتنى بها ، وهى تلف راسها بوشاح وردى ، كأنما قد خرجت لتوها من الحمام .. ذكرتنى بعينيها السوداوين . وسمعت رنات قهقهة فاترة . لقد كانت هى ذات الفتاة التائهة التى عرفتها قبل الامس فقط . كانت احلى من كركرة النهر ، واعذب من صداح البلبل فى شهر نيسان . سمرتنى قهقهتها فى مكانى . مدت عنقها من الشرفة بعد ان رفعت الستارة البنفسجية . لن انتظر . انها ستخرج . لقد لمحتنى . ما كان على ان امر من امام باب بيتها . لقد طلبت منها ان تنسانى .. ان تمزق كل ورقة كتبت لها فيها كلمة !! انا مزقت جميع اوراقها . لكنى كتبت عليها لم انسها .. والا لم مررت من امام باب بيتها !!

قالت مرة : ان لم تعد ، فساخبر عنك كل الناس .. اقول لهم انه يحبنى . ماذا ؟! سيعرفون بانى احبها !! البرد ينتظرنى فى البيت، ودرجات الحرارة الثمانية تحت الصفر ، وليس من ينتظرنى فى البيت سوى منقلة النار التى تتوهج فيها ارومات متقدة .. عيون اختى التى تنتظرنى .

ما زال الناس يصلون فى المسجد ، وعشرة اطفال يتقافزون تحت الانوار الخابية ، وبضعة متسولين يقفون عند وصيد باب المسجد ينتظرون ايضا ، ان يتكرم عليهم المصلون . ماذا لو تنهال عليهم الاعطيات كما تنهال رائحة البخور على انوفهم ! وفى الجانب الثانى

من الرصيف امام باب المسجد انحنى شاب على سلة السجائر والتقط سيكارة ذات عقب بني ، والقى للبائع الذى يجلس قبالة السلة ، عشرة فلوس فقط . عب فى رئتيه نفحة من دخانها الذكى . حسبته يشعر بالدفء والانتشاء ايضا ! ماذا ؟ اهذا انت ؟ لقد نسيتك تماما . انا احب الاطفال ، ولكنى لن اتزوج .

ــ وانا أيضا لا اريد ان اتزوج .. وقد غفرت لك .. غفـــرت لك صادقة لاننى لم اندم ..

انها لم تندم ! وتعلقت عيناى بوشاحها الوردى ، ثم انحدرتا الى صدرها ، وهو من بللور .. وقلبها عنقود من العقيق . كان يــدق .. حسبت دقاته دقة دقة .. لانه كان يرتجف ، انت مثله ايضا بالمينة ؟! انه ايضا لم يندم . لقد فقا عينى امه ولم يندم . مزق الشراع ، وحطم السارية ، ولم يندم .. مزق الاوراق وحطم القلم .. ثم نــظر الـــى نفسه وضحك .. لانه لم يندم ايضا !! لم يحزن .. ولم يلبس السواد ..لم تدمع عيناه .. لم يطرق له جفـــن ، لانه لم يندم ! وانـــــت مثله .. مثله تماما .. ما زلت تتشحين بهذا الوشاح الوردى . لـــم تحزنى على ما فات .. على ما مضى ، والذى لن يعود . لن تعلنـــى الحداد ، ولن تلبسى السواد !! لا . انا !؟ لا يمكن ان اعود ثانية .

ــ وهل تتركنى وحيدة فى صحراء الفداء !؟

ــ اذهبـــى حيث تشائين . لن اغرق فضيلتى فى بئر النسيان .. ولن اسجى حبى فى تابوت الصمت .. لن اصمت ابدا ! هـــــل تسمعين ؟ كفاك سخرية !! كفاك وعيدا !! هم من اولــئــك الذيــن سيسمعون ما تقولين ، اولئك الذين تريدين ان تروى لهم القـــصص

والاساطير ، كانما هم لم يعرفوني ، كما يعرفون انفسهم ، ولم يروني ابدا ، وانا انزل الى النهر كل يوم ، واغتسل فيه سبع مرات ولـم اتطهر . ما عادت المياه نقية .. لقد دنسها الكلب والذئبة ، اللذان رايتهما على الشاطىء يقطران ماء . ليتك تروين قصصك واساطيرك الى نفوس طاهرة .. لم تغتسل في النهر مثلي سبع مرات ولم تتطهر. ومع ذلك هم سيستمعون اليك .. وينصتون الى قصصك واساطيرك .. لانهم سيجدون ما يصلح لتعليقاتهم وضحكهم وتندرهم .

الكلب والذئبة صديقان .. تعاونا فدنسا مياه النهر الذى اردت ان اتطهر فيه .

رفعت بصرى .. اليها .. وتسلقت نظراتى عيـنيـهـا .. واستقرت على وشاحها الوردى . وحينما انحدرت .. رايـت فى عينيها بريقا .. بريقا من نوع آخر ، ذلك البريق الذى يسبق اغفاءة احلام عاصفة . وارادت ان تسجى الفضيلة مرة ثانية فى تـابـوت الـصـمـت .

— اذ تمثله .. مثل اخيك تماما . هو لم يندم ، وانت ايضـا لم تندمى .. حينما وجد نفسه على الشاطىء وحيدا بلا شـراع ولا صارية ولا سفينة . لم يبك .. ولم يحزن ، لانه لم يندم . وانت مثله .. مزقت الشراع .. شراعك انت ، الذى يقود سفينتك من شاطىء الى شاطىء ، ثم لم تبكى ولم تحزنى .. لانك لم تندمى . ماذا تريدين منى ؟ انا لن امزق شراعى ، ولن احطم صاريتى ، لانى اريد ان انتقل من شاطىء الى شاطىء . لا تضحكى هكذا ! انا اشعر بالخطيئة .. انا اتهم نفسى .. اوه !! او تقهقهين ؟! ماذا اصابنى !! لم يبق مـن

بابل سوى اطلال .. ولم تبق من شريعة ((اوركاجينا)) سوى آثار. ولكني مع ذلك اتعلق باذيال الندم .. واشعر بالخطيئة ، كما يشعر تماما ذلك الجثمان الذي يسير تحت قبة السماء المدلهمة في هذا البرد يقضقض عظامه ، ويقرص جسمه .. ودرجات الحرارة الثمانية تحت الصفر في جسمه . ولم يبق من السيكارة ذات العقب البني سوى بضع مليمات ، هي آخر نفس يعبه في رئتيه .

لا تنشري وشاحك الوردي . لن يكون شراعا جديدا لك ينقلك من شاطىء الى شاطىء ، حتى لو كان بلونه الوردي البهيج .. وعيناك ما زالتا لم تندما ، فانهما لن تجدا ما تستقران عليه ابدا ، لانه لم يبق من بابل سوى اطلال ، ولم يبق من شريعة ((اوركاجينا)) سوى آثار . لكن البخور هو البخور ، تتضوع رائحته في المساجد ، والعطور هي العطور ، تفوح من اعطاف المراة في الشرفات .. العيون المطلة على الازقة التي ما زالت موحلة ، والاطفال يلعبون تحت الانوار الخابية ، لان امهاتهم ما عادت تطيق وجودهم في البيوت . وانت لست صغيرة حتى لا تطيق امك وجودك في البيت . عودي واوصدي الباب خلفك ، ثم احكمي الرتاج .

ــ وانت ما شانك بي .. ما دمت قد ندمت وشعرت بالخطيئة ! ؟ سابقى على قارعة الطريق انتظر من يصلح الشراع ، وينقلني من شاطىء الى شاطىء . ــ لن يرى احد من السابلة لون هذا الوشاح الوردي البهيج . هم لا يجدون وقتا يفكرون فيه بالالوان . انهم يبحثون ويفتشون ليس عن الالوان والالحان . فما عادت هذه تغريهم منذ ان تصوصت الالوان على اجساد صغارهم الذين ينتظرون غدوهم في

اعقاب النهار . اوصدى الباب ، واحكمى الرتاج ، ولا تنتظرى السابلة، فحتى لو عادوا فلن يتلهفوا اليك قد يتلهفون الى صغارهم المنتظرين عودتهم تحت الانوار الخابية .

عندئذ بكت .. واسبلت اجفانها .. ومسحت دموعها ، وهطلت الامطار . ارادت ان تمسح بدموعها عذابات نفسها مثلما تمسح الامطار اوحال الطريق . لكن دموعها لم تمسح عذابات نفسها ، مثلما لم تمسح الامطار اوحال الطريق . فقد ظلت السماء تمطر ..والاوحال هذه المرة تنتشر وتتسع دائرتها .. كما تتسع دائرة الاحزان عند البكاء .

وعند المنعطف الضيق ثوى طفل صغير وبكى ايضا .. كان يخاف الامطار والاوحال . انه لا يقوى على مصارعة هذه الامطار والاوحال ، والبرد يقضقض عظامه ، وينشب درجاته الثمانية تحت الصفر ويغرزها فى جسمه .

رفع الطفل راسه الى اعلى ، والدموع تسح من موقيه ، ثم انحدرت نظراته الى المسجد ، كانت بابه موصدة . خرج المصلون . وذهب الاطفال الصغار الذين كانوا يلعبون تحت انوار المصابيح الخابية . ولاذ الطفل بالجدار ، يخاف ان تنزلق قدماه ، فيسقط فى الاوحال .

حتى انت ايها الطفل تخاف الاوحال ؛ فما لها هى لا تخاف منها . من الاوحال ، والطريق كله اوحال ، والمطر لا يغسل الطريق ، ولا يزيل الاوحال .

لم اسمع منه .. من الطفل سوى النشيج . كان يخاف ان يرفع صوته .. كان يخاف الظلمة والطريق والامطار والاوحال والناس أيضا وجدتها فرصة لاهرب منها.

واذ دنوت لم اجده !! هرب منى .. انه يخاف !! انا اخـــاف منها ، والطفل يخاف منى .. وحينما التفتت وجدتها تركض خلفى .. تريد اللحاق بى. لكن الامطار، ما زالت تهطل، والاوحال تنتشر وتتسع دائرتها فانزلقت قدماها ، وسقطت على الارض . وحينما نهضت وجدت آخر شراع بين يديها .. وشاحها الوردى البهيج قد تلطخ بالاوحال.. كالعقيـــــق البهيـــــج قـــد تلطـــــخ بالاوحـــــال ... وصدرهـــا وصدرها ما عاد شفافا كما كان كالبللور ، وقلبها ما عاد كالعقيق ، ودقاته ما عدت احسبها دقة دقة ، لانه ذهب عنه الوجيف ، لانها لـــم تـــنـــدم .

واذ رجعت لم يبق منها عندى شيء سوى اخبار ، كما لم يبـــق من بابل سوى اطلال ، ومن شريعة «اوركاجينا» سوى آثار .

نـــزيـــل المغرب ـــ سلمان على التكريتى

عـــوض مصيقـــر

الشـــريـط

قـصــة :

مقدمــة : هناك فى الشرق العربى حيث يعبر الرجال جسورا الى التعثر وجسوراالى الصباح ما زالت القافلة فى حثيث سيرها اللاهث وما زال بطلنا موجودا .

— ١ —

يختار مكانه باستمرار فى مقهى «الضفدع» فى الركن المطل على الماء ورعب الشجر الليلى فى احد زوايا الدخان والخمر والخشب التعب وابدا يحاول اختراق اللحم العتيق بنظرات ملؤها الفراغ والضياع اللاقرارى لم تكن نظراته بلهاء مطلقا بل متوقدة بذكاء حاد وابتسامته لم يعرف مسحوق رجل مثلها،لا يدرى ما الذىيدفعه لوصف نفسهبالمسحوق ومسحوق شعب يفرض نفسه بعنف على قعر نفسيته هذه النفسية المطلية بنقيق القلق من حيث هو رتابة سرمدية او هكذا كان يشعر ،،

من أرق الوجود يفكر ويملى عليه طلاء قمره ما يريد ان يعبر بـــه لتبقى تصرفاته بلا معنى لها حين يحاول الهروب من ذاته .. موسيقى المقهى تصدح جازا .. هذا النغم تصطك عظامه معه مع بضعـــة كؤوس من الخمر الصرف احيانا وبالصودا مرات عديدة ، الا ان نغما فى اغواره البعيدة هو الذى يشده الى تفصدات الواقع ، يرفـــع الكأس وصخب النغم المنبت عبر دخان السجائر وهذر السكارى يملىء هروبه . بيده الكأس التاسع معيار ثمالته وبعدها القيء على الدروب يبتدأ من تلك اللحظة التى يشعر فيها انه انفلت الى الخارج مع انه يقول لم انفلت ولن انفلت الا الى العدم حيث يتلاشى ويصبح كان ، ربما تعاسته عدمه الصائر اليه او ربما غثيانه ، من صراعه مع الواقع.

ترك الطاولة وخطر فى كثافة الوجود الى البار هناك فى آخر الصالة قرب منصة الفرقة الموسيقية .. طلب من رجل البار مزيدا من الهروب فى كأس .. لغط الثمالى يفسد عليه انغام الفالس .. الموسيقى التى يشرد معها الى وجود آخر .

— ٢ —

ترنح حتى وصل الى طاولة محاذية لحلبة الرقص .. رمـــى بثقل وجوده على كرسى وشردت عيناه فى سقف «الضفدع» وتجاوزته حين رشف كاسه وحملق ، اطرق راسه من اعلى مكان وصلـــه انسانه المعاصر الى اقدام الراقصين فى الحلبة ، حركات رتيبـــة تؤديها اقدامهم .. ضحك ببرود جليدى وحلول ان يتذكر شيئا كـــان قد ترك اثرا فى اتساع ذاكرته .. اصطدم باحذية مطاردية فى يـــوم نضالى انفلت فى الذكرى هكذا توضحت امامه فصول تمثيلية تدرية

كان هو بطلها الاول .. ادوار مماثلة عديدة قام بها على مسرح الحياة الدامي .

هناك فى الشرق حيث الرجال يعبرون جسورا الي التمثر وجسورا الى الفجر اتسعت عيناه برعب متكاثر حين حاول ان يتذكر تلك الليلة .. فى ليلة عيد كان الضباب مطبقا على مدينته المختنقة بظلام الزمن بعد ان كلف مع خمسة شباب من مسيرى القدر ... كانت الخطة مرسومة ولم يبق الا تنفيذها لم ينس انه المسؤول الاول فى هذه العملية . الضباب فى صراع مع اضواء مصابيح الدرو بوفق انسجام مرعب مع الظلام فى الازقة والحواري وفضاء المزارع .. تأكد من حشو الرصاص فى مسدسه وكذا رفاق قدره .. وتدارست تنفيذ الخطة فى رؤوس الجميع .. عقارب الساعة فى تلك الليلة مجهدة بثقل العملية واخيرا اشارت الى الحادية عشرة وكان السبيدء ..

ركب الستة السيارة وشقت طريقها وسط كثافة الصراع متجهة الى النادى الكبير حيث الليلة عيد راس السنة الميلادية ، كعادتهم فى كل سنة يعربدون حتي يتنفس الصبح . كل العابثين بشعبه يعربدون فى هذا المبنى .. وكر الخيانة منه تدبر المؤامرات وتحاك على العزلة فى شعبه .. اتسعت عيناه محدقة برعب هائل وتغيرت موسيقى المالس واخذت انغام الجاز تصخب «الضفدع» وارجلهم تتلاغت بحركات فطرية فى كل اتجاه .. انداحت دوائر ذاكرته فوصلت بهم السيارة قرب الوكر الصاخب .. الوكر يشرف على الشاطىء .. اختلط البحر بالسماء وضاع الافق فى صراع الضباب وتكسرات الامواج على الصخور تشكل نغم ايقاعي مع

الزمن السحيق ولفحات الرياح على الشاطىء اشبه ببرودة الموت تنخر عظامهم .. خرج ومعه اثنان والثلاثة الباقون ظلوا فى ابتلاع الظلام يراقبون المبنى والرفاق وايديهم على ازندة المسدسات تبعثر الثلاثة فى اتجاهات مختلفة بين فراهة السيارات امام فسحة المبنى .. تأكدوا من وجود سيارته .. تفرقعت ضحكات نسائية من جانب فى «الضفدع» وتلاشت فى دخان العبث بينما استمر اللحن يعربد فى الثمل افاق على صدى الضحكة .. فاراح الكأس على الطاولة ليشعل سيجارة ، سحب اول نفس منها واعقبها برشفة خمر ، وترك لتداعيات مخيلته العنان .. ما زال يتذكر تلك القنبلة الزمنية الصغيرة التى وضعها فى سيارة الطاغية ، كانت مضبوطة على الساعة الخامسة صباحا .. فى الخامسة صباحا سوف ينتهى انسان يسميه التقدميون قذر طاغية جبان ، خائن ، يجب ازاحة امثاله من الطريق وسوف يموت سائق الطاغية ، لا يهم ذلك .. هكذا يحلل رفاقه الوضع !.. المهم الطاغية اذ هو رأس الحية ، هذا السائق وراءه خمسة اولاد وامرأة عجوز يعيشون فى قبو تحت قصر الطاغية بجانب مخزن السيارة .. وبجانب السيارة مع عدة التصليح وبقع الزيت .. زيت التشحيم ، والعدة اصبحت من افراد العائلة منذ زمن طويل ؟ ! .. هى الاخرى سوف تتوقف عن الحركة وينتهى امرها مع صاحبها .. والتشريد للاولاد والعجوز ..

دوت فى الخامسة صباحا على طريق الشاطىء انفجارة ارعدت سكان الحى وتبعثرت اشلاء السائق والطاغية فى الجو مع حطام الحديد واستقر كل شىء بعد لحظة على الارض واختلط الدخان بالضباب .. بعد برهة اخذ الضباب يخفت تدريجيا ليكشف عن الحطام ..

التساؤل وسيزارات البوليس والاسعاف والصحف والتحرى والاعتقالات .. فى نشاط مستمر ، ومنع التجول استمر كالعادة للمرة المليون فى مدينة الدم .. امواج الشاطىء مستمرة هى الاخرى فى ايقاع لحنها الازلى على النقرشة الصخرية بينما راحت السحب ترسم لنفسها فى السماء انسيابات سريالية اشبه بالسنة نيرانية مشوقة ومسننة الراس ومدببة فى جوانب عدة ومثقبة فى كل اتجاه .. بينما كانت الشمس تتنفس مع الصبح فى انبلاج بطىء لتكشف عن لوحة القدر .. قدر هذا الرعيل المعذب .. نخرته المذاهب .. التصق المذهب بذات الفرد حتى اصبحت الذات نفسها لا تقبل ان تكون ذاتا اخرى .. اقتناع تام ومذهبية صلدة تجرف الشباب فى تعنت وصلوب الموقف ، معيار الثورى والحياد عنه خيانة لا تغتفر والتطرف فيه امر منسف للمبدا .. كذا ! .. مدينة مثالية ؟ .. لا يستطيع الثورى ان يثور ويثبت ثوريته ويعجز العاطف المخلص ان يجرب اخلاصه لاعتماده عليه .. ويظل العمق فى التناقض مدسوس يثبت قوته فى خضم هدير اللامعقول !.. الوصول اليه اشبه بضروب المستحيلات رغم اقتناعيته .. هكذا عندما يتنفس الانسان فى جو خانق يتعذب فى محاولة استمراره فى البقاء .. الخلط امر طبيعى جدا فى كل تجربة والا لن تكون صحيحة ابدا .. الكل مؤمن بهذا المنطق تماما ولكن رفاقه لا يجب ان يخطئوا ابدا ! .. خرافة الانبياء فى القرن العشرين تعود ، تطلقها تلك الابواق المسعورة الموجهة فى كل اتجاه ، وفى نعيقها هذا موجهة الى نفسها دونما تشعر .

— ٣ —

ارتسمت على وجهه علامة استغراب بلهاء وتسكعت ضحكة مقتولة على فمه حينما قفزت به ذكراه فجاءه من تداعياته الدامية تلك الى منطقة فى اعالى الجبل .. فى البلد الذى يحب .. وتشوف

الى شىء ما .. ضغط بقوة على عقب السيجارة فى المطفىء ، ودلق بقايا الخمرة حتى قعر الكاس فى جوفه ...

كانت انغام التانكو تنساب فى رقة بين ثنايا الارق فى «الضفدع» وفى تداعب مع تسيمات الصيف وانوار الطاولات الهادئة .. صفق للندل يطلب المزيد من الهروب فى كاس واشعل سيجارة اخرى وغير الطاولة وجلس على طاولة مشرفة على النهر .. حيث مقهى «الضفدع» يطل عليه .. اشباح الشجر الليلية مستمرة فى بث الرعب بظلالها على الضفة الاخرى من النهر .. وصورة النيون الحمراء والخضراء منعكسة على صفحته وتموجات متوالية خفيفة ترقص الاضواء المنعكسة .. الوحدة رغم الجمع الصاخب داخل «الضفدع» يحس بها .. عازف السكسفون فى الغرفة انفرد بنغم تعالى فيه عن باقى العزف الموسيقى ظلت تنسفح ويتردد صداها فى بعيد بعيد اغوار الذات .. منما جعلته يتنهد بحزن طويل كالعدم ..

زج فى حقيبة ذاته اسئلة متلاحقة طرات عليه ودلق السائل الاصفر حتى قعر الكاس فى جوفه ، أصلح ربطة عنقه وانتصب بقامته المديدة وتصنع ضحكة حاول ان يكون جذابا فيها .. خطر فى ترنح متماسك من اثر الخمرة ..

بعد ان حاسب الندل .. ترك «الضفدع» فى صخبه الارق وزواياه التعبة واستقبله شارع النهر بنسيمات الصيف المنعشة ، فاحب ان يتسكع الى بيته اذ نور الصباح آخذ فى انبلاج خفيف تنفسى التدرج ... وكعادته يحلو له المشى فى هذا الوقت ترك قدماه تقودانه

فى بطء ، وادخل يداه فى بنطاله والقى بنظراته السكرى الى الامتداد حتى الافــق ...

ـ الياسمين المعطر الابيض الفواح .

قالها بائع الياسمين الى (حامد) وهو ملق النظرة فى الامتداد المنفسخ ، التفت فى ثمالة الى بقايا الانسان هذا ؟ ! وقال فى نفســه حتى الساعة الرابعة والنصف يبيع الياسمين للسكارى وغانيــات الليل .. ما الذى يجنيه من بيع بضعة عقود ياسمينة الى مطلــع الفجر ؟ مسكين هذا العجوز عمره لا يقل عن الستين لا بد أن يكون وراءه من يعيلهــم .

عجوز الياسمين يلبس بنطالا وسخا جدا حتى يكاد من يــراه يحسب ان لونه اسود مع انه اخضر وعليه رقع فى ركبتيه ، ونهاية ارجل البنطال ممزقة فى هلهلة . حافى القدمين رجلاه اشبه بالخشب القديم وقميصه الازرق رقبته ممزقة وعدة ثقوب موزعة فى مواضــع مختلفة رافعا احد كم قميصه الى منتصف ساعده والاخرى مفــردة فى عدم مبالاة وشعره ابيض يتخلله بعض السواد غير مرتب هــو الاخر لم يلمسه موسى الحلاق اما الوجه فالارق والضنــى وتعــب السنين كلها ترقد بين جفونه كل ذلك مرسوم فى نظراته الحزينة الغمامية فى وهن له شفتان كقشرة الجوز معرقة فى صلابة .. وقد ترك ذقنه وشاربه فى عدم تشذيب فتكاد شفته العليا لا ترى من تهدل شاربه وكثافة شعره .. اصفرار واضح فى شعراته المحيطة بفمه من كثرة اشعال الدخان وبقايا الاطعمة فمنظره هكذا اشبه بناسك هندوكــى مــن بلاد البنغال فى الهند لولا لباسه الغير ابيض كالناسك ولكن الفرق شاسع من حيث الصراع الحياتى . الناسك البنغالى موقفه

حياتى على النقيض يطعم معدته بكيفية اخرى من هنـــا وهنـــاك واجدا ابدا من يقدم له ما ياكل وفى حياته هذا يعتبر نفســه من الزهاد .. نفسه عامرة بحب الانسان هو دائما معتبر نفسه واهب حـــب واهب انسانية هو يتمنى للعالم الخير وفى طريقة سعيه هذا مـــن اجل البث الانسانى .. ابدا سوف يميع الانسان فى موقف حياتـــى المتراخى .. الناسك يعلق الياسمين على رقبته وعصـــاه الطويلة فى يده ومسبحة طويلة تتكتك فى اسف متمدد ، اما بائع العقـــد الياسمينة يمسك المقود بين اصابعه .. وهو لم يصل بعـــد الـــى الراحة الموضوعية .. ولن يصل لها ما دام موضوعه غير متكامل .. لا يتمنى للعالم الخير بقدر ما يتمنى لنفسه الحياة المنعمة ولا يسبح بل يصارع من اجل ان ينتزع الحياة من اجل ان يجمع اللقيمات لصلبه لا يهب انسانية .. هو بقايا يحاول ان يخرج من مسحوقه الادمـــى الى البقاء وكل ذلك رغما عنه. وموقفه غير ثورى لان الثورية ماتت منذ زمن فى قمره وخميرته الثورية تبخرت مع الضنى والتعب مـــع الجوع والبرد بين انياب الظروف الزمهريرية المرعبة .

فقط يختاران يبيع فى هذه السويمات الارقة لان فى هـــذه السويمات السكارى وسمار الليالى وهؤلاء كرماء فى هـــذا الوقـــت بالذات !.. هو لا يعتمد على ثمن العقد بقدر ما يعتمد على كـــرم السكارى والغانيات .وهذا ما ادركه حامد .. فابتاع منه عقد ياسمين واكـــرمـــه !

— ٤ —

كور حامد العقد فى يدهور اح يستنشق عبير الياسمين ونسيمات الهواء تدغدغ وجنتيه .. قطع الطريق للرصيف الاخر .

كان الصبى بائع الجرائد يحاسب صاحب كشك الكتب ويستلم منه رزمة الصحف لهذا اليوم لم يشتر حامد صحيفة اذ عناوين الصحف والعبارات الصحفية اصابها الوهن فقد استنفذت كل قواها فى رحى الاخبار المسرعة فى ايام الغثيان .. المصيرية هذه .

وقف ليشعل سيجارة وتابع سيره ..

فى منتصف الشارع انتصبت عمارة عملاقة بين العمارات الصغيرة .. وامام بوابتها نزل من سيارة تاكسى حطام ارق مدهون بالمساحيق مخطر بلباس ضيق نفخت جفونه السهر .. تركت هذه المومس التاكسى وخطت فى سرعة نعاسية الى العمارة علها تغمض جفنيها وترمى بحطامها هذا فوق سرير الضنى .. قفزت بحامد ذكرى ايام فطومة كانت فطومة المومس تعطيه من الدفقات الصافية واللذة اكثر مما كانت تعطيه زوجته انيسة التى ماتت بالسكتة القلبية منذ زمن ..

لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .. استغفر الله واتوب اليه .

قالها شيخ خارج من المسجد فى نهاية الشارع وظل يردد تسابيح اخرى كثيرة .. واختفى الشيخ فى اول زقاق بجانب المسجد .

بينما استمر حامد فى تسكعه الفجرى التعب .. احس بالتعب يسرى فى ساقيه ليجتمع فى قدمه وبدت جفونه تجف واحس بثقل النعاس فى راسه فوقف ينتظر تاكسى يقله الى بيته اذ سكناه ما زالت بعيدة بعض الشىء .

ثالث سيارة عابرة كانت تاكسى .. اوقفها والقى بثقل نعاسه كله على المقعد وتلفظ بالعنوان للسائق فى عياء وصل العمارة حيث

يسكن حاسب السائق واندفع كالمومس التى رآها منذ برهة يريد ان يلحق الفراش ليمدد لحمه العتيق .. فتح باب الشقة ودلف الى الداخل بكل نخر النعاس وترهلات التعب . دلق بكأس ماء فى جوفه من عطش الخمرة .. اصابه دوار .. اراد أن يتقىء .. تمالك نفسه بعض الشىء وخلع ما عليه من ملابس ورماها فوق الارض والدولاب وارتدى بجامته .. تقىء بجانب السرير قبل ان يصل الى الحمام .. خلع قميص البيجاما اذ اصابه بعض القىء ترامى على السرير .. وراح يعب فى نوم عميق ... انتقل حامد الى عالم آخر مستقل تماما عن عالم وجوده فى يقظته .. ذاته فى انفساحة الرقدة تعيش !. ونوعية ما يدور فى لحظاته هذه سيميز بعض خيوطها الاكثر وضوحا بعد ان يصحو ..

— ٥ —

جسمه لحم عتيق منخور بالوهن يرقد فى سكون واول شعاع شمس يدخل من النافذة ينير وجود الغرفة .. الشمس تستمر فى انبلاجها لتكشف عن الا شياء اكثر واكثر وتودع قوافل الظلام ..

القىء وضح منظره الاصفر .. عدة قطع لحمية وبطاطس واشياء صغيرة ساكنة فى الاصفرار السائلي .. بعض الاتربة والغبار فوق النوافذ واركان الحجرة .. قميص البيجاما مستلق بجانب الباب فى وضع حزين سكونى النغم .. الدولاب منتصب كجنة احد اغنياء الحرو ب.. لون الغرفة الرمادى يبث تعاسته قدمه .. ابريق ماء ابله فوق السيجارة والمغبر بجانب السرير .. مذياع يابانى الصنع يصرخ فى صمت بلونه الاحمر فوق الكرسى فى مؤخرة الغرفة .. رحديث الصباح بدأ يملأ الوجود .. اصوات السيارات

وخصوصا الباصات تفرض وجودها على الموجورات في عالم ابنـاء القرود .. مصنع الاسمنت في آخر المدينة ينفث دخانه الاغبر فـي الافق البعيد .. واسطح المنازل تعكس اشعة الشمس في وهن .. موزع الحليب انتهت مهمته .. الناس تتزاحم على الارصفـة ومحطات الاتوبيس .. للمرات الملايين خرج الطلاب والعمال وكل من يهمه امر الصباح الى شوارع المدينة ومدارسها ومتاجرهـا ومصانعها .. بدات جولة الشحاذين والزبالين في مدينته الفقيـرة الوسخة .. نقاش يدور في المقاهي والصالونات حول اوضاع العفن في واقع بلاده المتناقض .. بينما خرج النمل يبحث عن طعام له .. صرصار ميت مقلوب على قفاه لقمة سائغة للنمل. ذبابة معلقة في بيت منكبوت في احد زوايا المنزل طعام اشهى من العسل للمنكبوت ..

وهدير سمفونية الحياة في اقوى العزيف تشتد في الساعة الثانية عشرة من هذا النهار مع البصق ..

عبـــد الالـــه كنـــون

أحـــــزان الشـــــــتاء

الصيف يرحل خلف اسوار المدينة
وتطل أحزان الشتـــــاء
لتكفـــن الارض الدفيئة بالثلوج
لتبعثر النسيان فى كل الوجوه
لتحرك الاموات فى جوف السكينة

•

الصمت فى الابواب والجدران والاحداق
والبرد فى الاعمـــــاق
وشوارع الليل الطويل هتيكة الاسرار
وملامح الموت القديم .. ويولد التذكار
ليفجر الآلام والاوهام والاحلام .
« من يحمل التذكار لا ينسى مـــدى الايـــام »

◆

سرب اللقالــق مثقل الاحساس بالغربــة
يمضى الى حيث الربيع يبرعم الاعراس فى التربة
ونظل نحن نجوب اقبيـــة المدينة
نجتـــر فى صمت هزائمنــا الصـغيرة .
ونخاف أن يأتـــى الصباح بلا صبـــاح .

◆

الصيف يرحل خلــف اسوار المدينة
وتطــل احزان الشتـــاء .
ويهل فى الاعماق شوق للقاء .
فنـــود ان نبكـــى .. ولا يجدى البكاء ! .

طنجــة : عبد الاله كنون

ربيع مبارك :

قصة :

الهدهد والحمامة

لان الارض ثابتة تحت قدميك ، وانما يخيل اليك انك تغوص ، وكل شىء فى مكانه يتحدى الزلازل : الحوانيت والمارة والاطفال وصومعتك الحبيبة تتراءى خلفك فى جلال وأنت تتحرك سائرا مهما احسست ثقل الخطوات ، وعليك ان ترد التحية باحسن منها ، انت شيخ المسجد وامامه ، ولن ينفعك التجاهل . واخطف يدك عن اللاثمين ، وادع لهم ببشرك المألوف، وامسح غشاوة الظلمة عن عينيك . ارفع بصرك الى السماء كما كنت تفعل دائما ، فما فى الارض الا التراب ولحيتك الفضية يجب ان تواجه مملكة النور . ايها الشيخ يا ابن الثمانين ، ضعفت عن الاحتمال وترديدك لا يجدى : « خلق الانسان هلوعا » . فقدت راحة القلب وجفاك السلام ، وفى محنة الجحيم يتردد اسم الله فى صدرك كلعبة فقدت جدتها عند طفل

غرير . طوبى لمن دخل الجنة ، وقديما خيل اليك انك فى الجنة . كانت « رحمة » جنتك على الارض وتأبى الان ان تعترف بأنها جحيمك . تؤكد لنفسك انها خدعت عنك . « خدعوها فحسب » ذلك ما تؤكده وانها هى هى على الفراق ، ما تزال الجنة التى اظلت شنيبتك وعندما تهاجمك الشكوك ، وتنخر قلبك الوساوس فى ملسك « رحمة » . تعود الى كنزك الاثير ، ذكرياتك العزيزة القطعة الغالية من حياتك تراجعها محاولا ان تستشف من ورائها ما يكون دليلا على خيانة « رحمة » وسوء صنيعها ولكنك تخدع نفسك لتحتفظ بما هو اعز : صورة رحمة الطاهرة البريئة فتعزى نفسك بانك كنت لطيفا ممها حدوبا عليها وانها لم تتصل بك فقط بل التحمتما خلال الزمن وتظل تكرر « خدعوها فحسب » وتعود الى ذكرياتك من جديد فاذا انت فى عيشة كفاف مع زوجتك الاولى « صفية » الى حدود الاربعين من عمرك ، عز العمر على حد تعبيرك وسن النبوة وانت منهمك فى خدمة بيت الله ، تسخن ماء الوضوء للمصلين وتنفض حصائر المسجد ، وتقرأ « السلكسة » مع القراء بعد كل عشاء وتؤذن وتنوب عن الشيخ المرابطى فى امامة الناس كلما اقعده عجز الكبر عن ذلك . . وفى عز العمر ذاك اشتعلت نار الحرمان فى قلبك كاشد ما يكون الحرمان واقوى ما تلتهب النار ، نار الحرمان من الولد . واغداق المحسنين عليك كان يكفل لك حياة الضرائر ولكنّ حبك صفية واخلاصك الذى ما عرفت غير الايمان سواه وخونك من ايذاء مخلوق ما على وجه الارض كل ذلك تراكم حائلا بينك وبين ما تنزع اليه . ولم تيأس ابدا كانت قصة زكرياء نابضة امام عينيك ورددت بالم اشد : « رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا » .

وتمضى السنون ويتوفى الامام المرابطى تاركا وحيدته « رحمة » صبية بدون سند فلا تتردد فى ضمها الى بيتك وقد آلت اليك امامة المسجد . اما صفية فتقول : ليت الله يرحمنى بمثلها من صلبى اما انت فيعمر قلبك الشكر كما عمره الايمان والاخلاص من قبل وتردد سرا وعلانية « ولئن شكرتم لازيدنكم » . ويأتى الشكر بثمرات غير منتظرة ، سريعة وزكية : صفية حبلى ! يا للبشرى ولا يسع الكون فرحتك . ما الطفك يا رب . ما اعظمك . ما اجل حكمتك يا ارحم الراحمين .

ويخرج الوليد الى الدنيا مبتسما باكيا مضطربا معربدا ، طاهرا على كل حال واوشكت ان تسميه طاهرا حين رفض وعاد من حيث اتى . حكمتك يا رب . وتبتئس صفية اشد الابتئاس اما انت فقد اتقنت لغة اخرى : « طوبى للصابرين . والله يمتحن عبده . ابتلى الرسول فى ولده باكثر من هذا » . وتجد سلوتك فى الصلاة وتمجيد الاله من خيوط الفجر الى ان تهن خيوط جسدك الواهن فى آخر الليل . ويغيب تلهفك على امنيتك تنسى الطلب وتذوب فى العبادة . ويداعبك الامل من جديد الامل ، كاقوى ما يرتسم . البشارة من جديد وانتظار الابتسام والبكاء والعربدة والطهر مرة اخرى . وفى حملها الثانى تتوفى صفية بنزيف داخلى كما قال الطبيب وبقدر وقضاء من الله كما تعرف انت جيدا ، وتبقى وحيدا الا من رحمة فترعاها بكل حنان الشيخ وعطفه . ومن اول يوم فى وحدتكما تتسلل انت بهدوء عند الفجر حتى لا توقظها محدثا نفسك : « الصبيان ، احوج من الشيوخ للنوم » وتسير الى اناء الوضوء فاذا هو ساخن بل يكاد يبرد من سخونته . لقد اصبحت نواما ايها الشيخ ، احوج من الاطفال الى النوم وها هى ذى رحمة تسبقك

كل فجر لتسخن لك ماء الوضوء انت الذى لا تريد ان تزعجها بالايقاظ. ثم تعود مساء من المسجد حاملا شيئا من جاهز الطعام فاذا هى قد اعدت ما تيسر منه فى البيت .وتمضى بكما الحياة ، والهاك اطمئنانك الى هذه الحياة عن التساؤل والتدبر اصبحت تتقبل كل شىء وتغفل عن كل شىء تريد ان تعفى شيخوختك من التفكير والهم ولكن ها هى ذى جحافل الهم تزحف اليك فتتبدد هواء تستنشقه وماء تشربه ودما يجرى فى عروقك اصبحت انت الهم وكل الهم والكدر .. منذ ذات يوم، عندما انحنت رحمة تصب عليك الماء استعدادا لتناول الطعام وانكببت على الطست تتمضمض فى اناة ولما رفعت بصرك الى رحمة مستزيدا كمية الماء ، اختلج جفناك وخفضت بسرعة كمن صدمه النور بغتة بعد السير دهورا فى الظلام . اهتزت اعصابك الواهية ايها الشيخ وانت ترى قميصها المفتوح الصدر ، المسفر عن فاكهة الجنة . بسملت وحوقلت ولم ترفع بصرك اليها ذلك اليوم وفى المساء رميت اليها بقميص جديد مسدود الى اعلى الرقبة . منذ ذلك اليوم احسست ببريق جديد يشع من عينيك ، اصبحت تتقلب فى فراشك كالمجنون والنوم يجفوك والاحلام تكرار لالامك وآمالك . وحل الشقاء وغابت راحة القلب وهدوؤه الى غير رجعة فاذا انت نائم يقظ ويقظ نائم . والامل الالـيم نفسه يداعبك فى كل حالة : « النهد النامى يدغدغ انفك والزند الطرى يحوطك والشعر الصبى يختلط بشيبتك » ولكنك كررت فى يقظتك وصلاتك «ان النفس لامارة بالسوء» واصبحت تغض من بصرك وعندما ترفعه لا يقع الا على صدر يتفتح او زند يتسق او خصر يدق .. وفغمت رائحة الصبا خياشيمك وحرقتت انفاس رحمة انفاسك وهى تشاركك الهواء ولعنت الشيطان سرا وجهرا وقلت فى نفسك :

« الشيطان امراة ، امراة صغيرة » وقلت ايضا : « الشيطـان . . رحمة » وتألمت ليوسف أشد الالم . وردد لسانك « رب السجن احب الى . » ولكن الازمة تحتد وتزداد ضغطا ، على ارادتك الواهنة عندما تلاحظ مرة ان ذلك الطالب الفاشل ابن الجارة المخنث يتطلع الى نافذة رحمة . وتعود مرة ثانية من صلاة الظهر فاذا به هو نفسه بقامته النحيفة وقصته المهدلة على الجبين والبنطلون الضيق هو نفسـه بكامل فشله وتخلفه وبسفالة «ابناء اليوم» يلوك كلمات وابتسامـة موجهة الى رحمة وهى تضع القمامة فى السلة امام البيت . ومن يومها كرهت الفتيان وانقلبت « الله يهديهم » المألوفة منك الى حقد ولعنة وحنظل ، ووافتك قصة البستانى الامين الذى يرعى غرس يده الى اوان القطاف فيجنيه أصحابه دون ان يعرف هو حلو الفاكهة مـن حامضها . فكرهت ان تكونه . ورددت نسيمات الفجر تأوهاتك ودعت حبات المسبحة : رب اطفىء هذه النار . واختلطت صيحات الاذان بصرخات روحك فبكيت بين يدى الرب وقلت : الدموع شقاء . ولما امتنع العزاء شكوت الى « الضاوى » فراش المسجد فعجز عن الافادة ولعله تهيب ان يؤذيك برايه الصريح فاحالك على زوجته وقالت هذه ، انها ستنقذك ، وقلت للفراش وزوجته :

— يهمنى امر رحمة . وهناؤها وسعادتها . من حقها ان تختار . اعلم انى شيخ عجوز وانها صبية . . والذئاب . . »

كان لسانك ينطق اما قلبك فلا يؤمن بحرف واحد من ذلك . وسكت الضاوى فسرت صمته بالرضا. اما زوجته فشجعتك ويسرت لك وفعلت فضلا وقالت :

— سأتدبـر الامر.

وكان الامر . ومسح البستانى عرقه اخيرا ليقطع غرس يده قبل ان تمتد اليه يد سواه : استظل العريش ، قطف الرمان ومسح على التفاح بحنان ، .. والعناقيد والورود ، غاب فى الخضرة . اورقت من مصير الصبا شيخوختك وراجعتك الحياة . وغمرت فراش الزوجية بالهدايا بسطت لرحمة جودك وسماحتك واجهزت على قدرتك كانما لتعوض شيئا ما . وقد كنت دائما مستحضرا حكايات الشيوخ الصبايا وكنت خير مقدر ما وهبتك رحمة فبذلت ما وسعك البذل . وانسك لتعود محملا بعطاياك . وتطرق ، الباب مفتوح يجب ان توبخها بلطف . حضرت يا رحمة فسارعى . ولكن الصمت تصيح بانها ليست هنا . رحمة اين انت ؟ برودة المطبخ تصيح ايضا اين رحمة ؟ الجدران تردد نفس النداء . والمطارق فى راسك الشيخ .. وما تحمله بين يديك يصيح ايضا لم تتسلمنى رحمة .. رحمة ليست هنا !

...

لا . الارض ثابتة تحت قدميك .. كل شىء ثابت وانما يخيل اليك انك تغوص .. وقديما كنت تقول : « لا يعلم الغيب الا الله » وكنت تعد عمل « الشوافة » تدجيلا اى تدجيل ، ولكنك الان تسير نحوها فى لهفة العاشق وبودك لو يكف الطيبون عن تجنبك ولو تطوى الطريق ولو يطمر منبع التمع من ذاتك ، وترفع الغشاوة عنك وينفك القلب عن التفطر ولو ولو .. تنتهى الحرقة واللهيب اعترف بانها جحيمك .رحمة « خدعوها فحسب » تعزيتك الواهية وها انتذا تقترب حائرا من كهف الظلام لتقتطع حزمة نور تضىء محنتك ها هى ذى « الشوافة » المراة المشعثة الشعر الوحشية النظرات عنكبوت الظلام تبسم لك اسنانها تلمع فى الوجه الملطخ بالحناء وامامها قطع الزجاج، آلافها ايضا تبسم

لك كيف يخرج الامل فى الزجاج ؟ كيف يستتر الغيب فى الزجاج الحاد فلا تراه الا عيون وحشية تسكن الظلام ؟ لا تتساءل الزجاج فى قلبك احد.

« ــ طارت الحمامة ؟ »

وهزه صوت الشوافة المباغت وكلامها الصادق وقبل أن يتم الشيخ جلسته أمامها وعيناها فى عينيه وابتسامة لا معنى لها .. قال وكأنه لم يسمع ولم ير :

ــ انا فى ضائقة .

ــ الفتوح اولا

ناولها ما معه من دراهم فعدتها متمهلة وكأنما تخاطب نفسها :

ــ قليل يأتى بكثير .

وحركت قطع الزجاج المبسوطة امامها على المنديل باصابع معروقة وبجمع يدها مدت له حفنة زجاج :

ــ على موضع الالم منك .

كان يعرف جيدا موضع الالم فوضعها على قلبه وردها فاخذت الشوافة تخلط الزجاج من جديد وتقلب فى تحريكه وقطبت مركزة فى الزجــاج :

ــ « غامت النفس . السحاب يتراكم حتى يحجب اشعة الشمس. نغلت القلب وقلب الشيخ على صفائه كالزجاج » . وحركت القطاع مرة اخرى وتابعت :

ــ رموا شباكهم . اتقنوا الحملة . ومع الحمامة عون الله . الدخان يغشى السماء والارض لهيب لا مستراح فيه لحمامة . الاغصان

لاهبة ايضا . ولا ظل . ولكن كل شىء يسلم ويتم الغرض ويعود الى الشيخ بالفتوح الكبير بالكثير .. »

قال الشيخ منفعلا :

ـ الفتوح . نعم . ولكن كيف يسلم كل شىء وهل تعود رحمة ؟

حركت الزجاج من جديد وركزت قائلة :

ـ « بيتوا حولها . حول الحمامة والغدير معا . الكيد لهم وفى اللحظة الحاسمة ينشق الغدير عن فارس ازهر على جواد ادهم يلاعب الريح قصته المستدلة على الجبين . وبسيف النور تختفى خفافيش الظلام ويفيض الغدير عسلا وحليبا وترتوى حمامة الشيخ ليعود بهـــا الفجر وتاتينى بالفتوح الكبير . »

واحس الشيخ بانه بدأ يفهم ، يفهم الى درجة مؤلمة جدا تزيد من ثقل المحنة . من هو هذا الذى ينشق عنه الغدير ليعود بها ؟ والقصة المستدلة على الجبين علامة غير مريحة وتكونت لديه صورة عن ابن الجارة المخنث بقصته المعهودة المقوتة ايكون هو الذى ياتى بها ، برحمة . الا يكون هو الذى اغواها ؟ واحس بانه يجب ان يتأكـــد من صفات الفارس وتكهن بأن الجواب سيحزنه بل سيحزنه كل جواب ما دامت رحمة غائبة فكبت حزنه وتساءل كمن لا يعنيه امر ويكـل ببساطـــة :

ـ هل تعود حقا ؟

ـ لا يخلف الفجر .

البيضاء ـ م.ربيـــع

شــريـف الــراس

مـــوال لاهل الرمـــال

١

الحقد : جذور الانسانى
والعهر كذلكم الزانـــى
عمر للبيت الفوقانى شباك الحقد
وافرشه بديبـــاج هندى
خمري العطر كماء الضبع
فالصبح كئيـــب
طعمه دومـــا رماد .
والجذرى ملا البستان الصفرا .
والقول تدنس بالعهـــر :
اذ لا فعل ...
والاسماء انزاحت عن معنى
عن كل المعنـــى

وحروف العطـــف ؟

أيـــن العطـــف ؟؟

فالام المخاض : بحث عن لغة للقول

فى عصـــر الحقـــد الانسانى .

٢

جنكيـــز خـــان ..

... واسع بلا حدود.

والأسنان تطحن الخبـــز.

والبيرة تقهق فى الحلق.

والخير : أرد مـــا يكون.

فلن يكون ما تريد

ـــ « بالله يا قبر هل زالت محاسنه » ؟

ـــ « أنت تفكرين فيه اكثر من اللازم ».

ـــ صحيـــح

ولكن يا لبؤس الحضارة

لان جنكير خـــان

واســـــع

واســـع بلا حدود

٣

الخير : ثقب عفن فى جماجم الثعالب

ـــ « هل رايت سنجابا يحفر جوزة » ؟

لذلك نبتت فطور السم فى زوايا البيت.

اذ حتى الورد نسيناه
اكلنــــاه .
والغدر صار البوصلة الدين الملة
والفــولاذ سقيناه .
ــ والازهـــار ؟؟
ــ من شوك اسود ذى حدة
عبثا تبحث عن بسمة .

٤

الكهف البارد اهواه .
ــ لا خضرة الا بالشــر .
بالموت بتفتيت اللحم
بالــذرة ...
فالفارس اضحى اضحوكة
دمـيــة
لتماثيل الشمع المجـد
ولها نحدو ...
....
بل حتى الانف تعطل وانحرف :
فلرائحة دهان تشميع الحذاء وقع الصنوبر .

٥

ما علينا ان جعلنا همنا الاسمى الظلالا ؟
فالخوف مال رمادي .

كرنة الحديد الذى يملا الشوارع ،
اخــرس .
والمرلة ... حتى المراة
قد ملت رائحة ذاتها.
ورماد الجسود التى تهدمت
محشو تحت الابطين.
فتش كل من يعبر الشارع . فتش وانظر.
ام ان عينيك ايضا صارتا من زجاج ؟
لكن لا تلمس نفسك
فالمراة ، حتى المراة :
كرهت رائحة ذاتها .
كرهت . ملت . مقتت . عافت.
انها تنطوى انطواءة اختناق
وبــلا حبل ...

٦

هات المعــول
ولنهدم اسوار التاريخ الاجرب.
اضرب اضرب .
حطــم .
« فالخمرة كانت مغشوشة .
والكاس كذلك مزنوخة .
قيح .. طوفان الاوناس .

روث : والرجس على الرجس
والحب كمقلة عين البومة .
والحقد تجتث فى العمق
والخمرة كانت مغشوشة :
كانت بــول الافعــى.
فــــاذن :
هيــا نسعى.

الــدكتــور سلمان قطاية

«واحد، اثنان، ثلاثة... الخ...»

مسرحية عصرية بفصل واحد

الاهداء : الى روح اخى سليم ــ سلمان

« اما من احد فيوقف هذا الطاعون »

برتــولت بريخــت

اشخــاص المسرحية :

صاحب الدار

الطبيــب

الارستقارطى

المهنـــدس

حمــالان

• المشـــهـد الاول

(يرفع الستار عن منظر صالون من بيوت دمشق)

صاحب الدار — (يتقدم من النظارة) آنساتي ، سيداتي ، سادتي . لست ادري كيف يجب ان اعرض عليكم مشكلتي . بالواقع انها مشكلة عويصة ، وصعبة الحل ؛ ولكنني صممت على حلها باى شكل ، وتصميمي ناتج عن رغبة صادقة ، واعترف بفشلي بايجاد حل لها رغم محاولاتى الكثيرة . ويبدو ان الامر ليس بالسهولة التي كنت اتوقعها ، وربما كانت جهودى لوحدها لا تكفى ، بل ربما كان علي ايضا ان لا اكتفى بجهودى بل اعتمد على سواعد الاخرين . الحاصل : قررت هذا الحل اذن وهانذا ساحاول امامكم ان اقوم بذلك شريطة ان تساعدونى . ولا اقصد بذلك ان تتخلوا عن مقاعدكم وتتحركوا على خشبة المسرح . كلا ... الافضل ان يبقى كل منا فى مكانه ، فلكل منا دوره .. والا اذا اخذ كل منا مكان الاخر وقعنا فى فوضى وانتهينا الى مشكلة معقدة بل اشد تعقيدا من مشكلتى . والمشكلة كلمة قديمة فى المسرح وانتم تعلمون دون شك كيف وقف هاملت امير الدانيمارك ممسكا بخنجره يقول : البقاء ام الموت . تلك هى المشكلة !لقد انقلب الامر منذ ذلك الحين واصبح اليوم المتفرج فى كل مكان من الحياة يمسك برقبته وينشد : البقاء ام الموت .

لنحترم اذن قوانين المسرح ونظامه .. والان يكفينى شرحا وتفسيرا ولنبدأ .

(يتراجع ويتوقف محدقا فى الكواليس ويصفق بيديه ثلاثة صفقات معلنا بدء المسرحية . تعزف نغمة تصويرية مستوحاة من الرقصة الشعبية : عليادى اليادى اليادى .. يدخل الطبيب)

المشـــهد الثـــانى

الطبـــيـــب ــ (بجد وصرامة) حسنا ، هذا حسن ، حسن جدا . اين المريــض ايهـــا الرجـــل ؟

صاحب الدار ــ ليس فى الدار مريض يا دكتور !

الطبـــيـــب ــ كيف هـــذا ؟

صاحب الدار ــ كما اقول لك !

الطبـــيـــب ــ لماذا استدعيتنى اذن ؟

صاحب الدار ــ فى دارنا داء .

الطبـــيـــب ــ حسنا ، هذا حسن ، حســن جدا . هنا داء وانا الطبيب ولدى الدواء

صاحب الدار ــ سيدى الطبيب ، ولكنه داء عضال .

الطبيـــــب ــ لا باس . لا تخف . فانا اهــل وجديــر بـــــه . لا تخف اقول لك .. هذا حسن (يفرك يديه مغتبطا ويتطنط وهو يترنم فرحا)

صاحب الدار ــ (متلبكا) الحقيقة ... الواقع ... لســت ادرى كيــف افسر الامر . هم ... الواقع انــه ليــس بـــداء

الطبيــب ــ (يتوقف فجاة) كيف ذلك ؟ ما هو اذن ؟

صاحب الدار ــ انه .. انها مشكلة . نعم انها مشكلة .

الطبيــب ــ لا تخف فانا حكيم ، وحكمتى تجيز لى حل المشاكل .

صاحب الدار ــ طيب اتفقنا اذن . تعال معى . هيا اتبعنى (يهرول بخطوات سريعة وقصيرة . يذرع الغرفة جيئة وذهابا على انغام الموسيقى السريعة ، والطبيب يلاحقه وفى يده محفظته السوداء ، متعبا منهكا ، والعرق يتصبب على جبينه . ثم يتوقف ويشير الى السقف) ها هو الدواء ، او المرض او المشكلة ... سمه كما تريد ، المهم هذا هو العمل .

الطبيــب ــ (يحدق فى السقف) حسنا ، هذا حسن ، هذا حسن جدا . هات سلم

صاحب الدار ــ انت مستعد ؟

الطبيــب ــ طبعا انا مستعد دوما للعمل .

صاحب الدار ــ يا لله (يذهب فيحضر السلم من الكواليس) تفضل هيــا

الطبيــب ــ امسك بالسلم جيدا والا سقطت فمت .

صاحب الدار ــ لا تخف سامسك به جيدا .

الطبيــب ــ حسن ، هذا حسن جدا ... امسك به .

صاحب الدار ــ انا ممسك به .

الطبيــب ــ حسن (يصعد على السلم حتى السقف) امسك به . (يفتح حقيبته ويخرج ميزان حرارة ضخم فيغرسه فى السقف وينتظر محدقا فى الساعة المشدودة الى معصمه)

صاحب الدار — لا تخف يا سيدى ، فانا ممسك بالسلم جيدا .

أؤكد لك ايها الطبيب اننى قد كرهت الحياة بسبب هذا الداء ، فارجوك ان تتفحصه مليا وبدقة علمية، خاصة وانك ابديت استعدادا للعمل ورغبة طيبة المشاركة ، لذا اكرر رجائى ان تقوم بعملك على افضل وجه ، وان لا تقول كلمتك النهائية الا بعدالتفكير والتمحيص ، لا تكن عجلا ، لا تسرع فى حكمك ، مشكلة كهذه قد تسبب لى من الاضرار والمصائب ما لا يمكن لك أن تتنبأ به منذ الان . لقد قلت لى انك لست طبيبا فقط بل حكيما ايضا ومعنى هذا انك قد اطلعت دونما شك على ما قاله الحكماء فى غابر الزمان ، وعلى ما ابتدعته قرائح العلماء فى عصرنا ، ولا بد ان منهم من سمع بهذا الداء او عرفه فعلمك غزير واطلاعك عميق . (يحسب الطبيب ميزانا لحرارة ويعيده الى الحقيبة ويخرج منها سماعة ويشرع فى الدق على السقف ووضع السماعة عليه ... الخ ..) ارجوك ايها ألطبيب لا تسرع فى حكمك . بل اتوصل اليك ان تفعل كل ما بوسعك فلا تبخل على بعلمك فأنا أعرف أنك افضل الاطباء وامهر الحكماء فلهذا قد استدعيتك . أنت ولا شك ذكى يا دكتور ، انت ماهر ، أنت عبقرى .. نعم عبقرى ، هكذا قيل لى . وساكون واثقا من ذلك بنتيجة عملك ألتى ستكون حتما رائعة هائلة . بل اننى لا أتورع من أن أبتهل اليك ، بل

اذا اردت فانا على استعداد لأن اقدم لك صلاة صغيرة امجد فيها اعمالك واذكرها واحدة واحدة وان كنت لا اعرفها ، فلا اهمية لذلك . بل اذا رايت باستطاعتى ان اتلو صلاة طويلة جدا امام كل الناس على كلامى هذا يشفع ويستطيع ان يدخل فى قلبك الشفقة والعطف. فانا لو علمت ياسيدى الطبيب رجل مسكين ، نعم مسكين ومتواضع ولا حول لى ولا قوة ، ولكنى الان، فقط اشعر ان السعادة ستدخل قلبى وان الضياء سيغمر بيتى واننى لن اكون ضائعاً تعسا كما كنت ، بل سوف اكون سعيدا سعيدا ، الحب يحيطنى ، والموسيقى ترافقنى ، وستصبح الحياة بالنسبة لى اغنية رائعة لا نهاية لها .. (ينزل الطبيب من على السلم) اليس كذلك يا سيدى؟

الطبيب ــ (بتجهم) ليس لهذا الداء من علاج .

صاحب الدار ــ ويلاه .. ولكن الست طبيبا ماهرا ؟

الطبيب ــ طبعا ، هذا لا شك فيه . ولكن هذا ليس من اختصاصى .

صاحب الدار ــ كيف هذا ، الست حكيما حذقا ؟

الطبيب ــ نعم ، نعم . انما اجد ان هذا يتخطى حدود عملى .

صاحب الدار ــ ماذا على ان افعل اذن ؟

الطبيب ــ لا اعلم . افعل ما تريد .

صاحب الدار ــ يا للمصيبة . ايجب على أن اصبر ايضا وان امنى النفس بالاحلام ؟

الطبيب ــ لست ادرى .

صاحب الدار ــ يا للمصيبة .

الطبيب ــ افعل ما يحلو لك . اما انا فلدى موعد ضرورى فالكثيرون ينتظروننى ويجب ان ارحل . استودعك الله . (يذهب)

صاحب الدار ــ توقف ، قف ... تعال .

المشهد الثالث

صاحب الدار ــ (بحزن وقنوط) فشل الطبيب ، لا حول ولا قوة الا بالله ، ضاعت الحكمة وخبا الذكاء ، وانا ما زلت حزينا ، كئيبا ، شقيا ، بائسا كما ترون (يقفز راقصا على النغم الموسيقى) .

المشهد الرابع

(يدخل الارستقراطى بملابس انيقة جدا ، فى يده عصى ذات يد فضية وعلى راسه قبعة عالية وفى عروة سترته وردة حمراء كبيرة ، وفى احدى يديه زوج قفاز فاخر . يتقدم منه صاحب الدار فيزيحه هذا بعصاه باحتقار ، دون ان ينظر اليه ، ثم يمضى متابعا سيره يتفحص الغرفة بدقة . يقترب من كل جدار ، يحدق فيه عن قرب . ثم يبتعد ويحدق من جديد ، يدق بعصاه عليها ، ويرسم بها خطوطا ... وذلك خلال كل هذا المشهد وصاحب الدار يلاحقه)

صاحب الدار ــ من انت ايها الرجل ؟ قل لى بالله ؟ من الذى سمح لك بالدخول الى بيتى ؟ انه لا يجيب او بل انه يجيب بحركات متعجرفة متعالية ! ولماذا الانك ترتدى

ملابس جميلة وجديدة ... ولكننا نعرف ان الملابس خداعة وانها ربما تخفى تحتها أقذر النفوس .. نعم من يدرى لعلك تخفى تحتها نفسا قذرة شرسة ! بل اننى متاكد من انك قذر ! انه لا يجيب ، ولا تهـزه كلماتى . ربما تقول لنفسك : ما السـبـب الذى يدعونى لشتمك ووصمك بهذه الصفات . هكـذا . نعم هكذا حدست . ماذا تفعل ؟ توقف ! استمـع لى اقول لك : انا هنا فى بيتى ، أنت غريب عنه ، دخيل ، أتسمع : لا علاقة لك بى وبهذا البيت وهذه الجدران . لماذا جئت ؟ من الذى استـدعاك ؟ لـم استدعك قط ، فانا لا اعرفك ولا اريد التعرف عليك. وما حاجتى بك . ماذا تفعل ؟ ما هذه الحركات ؟ لا شك انك مجنون ، مثل كاتب هذه المسرحيـة ! مجنون والله مجنون ، لا شك فى هذا . لا بد انك تعتبر نفسك شخصية كبيرة من طبقة راقية ذكيـة غنية مثقفة .. ولكنك لو علمت لص حقير . نعـم فالراقى والذكى لا يسمح لنفسه بدخول بيـوت الناس هكذا دون استئذان ، هل قرعت الباب ؟ كلا لم تفعل . اذن فلماذا دخلت ؟ انه عمل لصوص. هيا اخرج فى الحال قبل ان يشتد بى الغضب فافقد صوابى فاقوم بما لا تحمد عقباه . اراك غير مهتم. ربما كان ذلك لاعتقادك باننى ضعيف ولا املك مـن القوة ما يمكننى من طردك . لقـد اخطات رغـم ذكاءك وثقافتك ولسوف ترى . ان فى ضعفى مـن

القوة الهائلة ما يكفي اذا انفجرت ذات يــوم ان أطيح بك وبأمثالك الى الموت والعدم . ولســوف أفعل . تتساءل في نفسك متى سأفعل ذلك ! لست ادري . ولكنني سأفعل ولسوف ترى . لن يطول بك الوقت وانت تختال في زيك هذا وفي داري هذه ، تختال بكبرياء في عقر داري ، اتمشى هنا وتنظر الى باحتقار ؟ لن اقبل هذا . اسمع الي ايها الرجل، اذا كنت فعلا رجلا فأجبني . قل كلمة واحدة جوابــا على كلامي . هانذا اهينك : انت لص حقير ! لص حقير . هيا قل كلمة واحدة ولكنك لا تجيــب ... طبعا لقد افحمتك فسكت فما اقوله حقيقي وبديهي وواضح . وكيف لك وانت المزيف من قمة راســك حتى أخمص قدميك ان تنكر ما هو حقيقي ؟ اقــول لك اجب او اذهب ، اذهب اختف من امامي ، لقد بدأ صبري بالنفاد والا ... اتريدني ان اقوم بجريمة لم ارتكبها في حياتي او ربما حان الوقت لارتكابها . هيا اغرب مــن هنا ايــهــا اللص . (يــخــرج الارستقراطي كما دخل) اف ، يا لها من معركة ، ويا له من غراب اسود كريه . لم ار قط في حياتي شخصا مثله في كبريائه وعجرفته .

المشهــد الخــامس

(يدخل المهندس ومن خلفه حمالان مثقلان بالكتب والخرائــط والمساطير ..)

المهـــندس — (بعزم وتصميم) من هنا ، هنا ... ضـــعـــوا حمليكما هنا ، فى هذه الزاوية . اقتربا . نعم هنا.

(يضع الحمالان حمليهما فى المكان الذى يشير اليه المهندس . ينتظـــران)

صاحب الدار — ما هذا ؟ من انـت؟ لقد كنت ...

المهـــندس — (يقاطعه بعزم) لقد جئت فى الوقت المناسب ، اليس كذلك ؟ طبعا طبعا فانا على علم بكل شىء .

صاحب الدار — كنت اريد ان اقول ..

المهـــندس — (يقاطعه) نعم نعم اعرف كل ما حدث ويحدث فـــلا تـــقـــلـــق .

احد الحمالين — سيدى

صاحب الدار — ولكن اتعلم فعلا كل شىء ؟

المهـــندس — كل شىء .

احد الحمالين — ســـيـــدى

المهـــندس — (يلتفت اليه) ماذا تريد ؟ الا زلتما هنا ؟

احد الحمالين — اجرتنا يا سيدى .

المهـــندس — يا للوقاحة ، هيا انصرفا ، اغربا عن وجهى .

احد الحمالين — ولكن ... يا سيدى .

المهـــندس — (بغضب) هيا ! انصرفا والا (يهجم عليهمـــا ... فيخـــرجـــان)

المشهد السادس

المهـــندس — (يفكر) ما ذا كنت اقول ؟ ها ... نعم فانا كما اقول لك عليم بكل مـــا يجـــرى .

صاحب الدار ــ هذا غريب !

المهـــنـــدس ــ اتريد برهانا على ذلك ؟

صاحب الدار ــ نعم اذا سمحت .

المهـــنـــدس ــ اذن اتبعني (يهرول بخطوات قصيرة جيئة وذهابا ثم يتوقف فى منتصف المسرح ويشير الى السقف) هـــذا هو الداء .

صاحب الدار ــ (بفرح شديد) يا للبراعة ! نعم هذا صحيح انـــه الـــداء .. انها المشكلة . انت رجل ذكى .

المهـــنـــدس ــ انها مهنتى . فلو لم اكن ذكيا لما كنـــت مهندسا . فالهندسة تستوجب الـــذكـــاء .

صاحب الدار ــ كلامك هذا رائع جدا .

المهـــنـــدس ــ انـــا مهندس كـــلام ايضا .

صاحب الدار ــ هذا بديع ، يا لحسن الحظ .

المهـــنـــدس ــ على كل حال ، فانا لا اريد ان اضيع وقتى فهو ثمين . (ينظر الى ساعته المشدودة الى معصمه) نعم انه ثمين جدا ، وعلى أن اقوم خلال كل دقيقة بعمـــل جديد ، فالحياة عمل متواصل لا انقطاع فيه وهذا شىء معلوم منذ قديم الزمان : الحياة هى العمل .

صاحب الدار ــ مدهش ، رائع ، ممتاز . يا لها من كلمة بالغة .

المهـــنـــدس ــ (بثقة متناهية) وسوف ترى كيف اطبق القول على العمل . تقول ان فى دارك مشكلة ؟

صاحب الدار ــ نعم ، نعم ، انها مشكلة .

المهـــنـــدس ــ هم ... حسنا سوف تـــرى كيـــف ساحل هـــذه المشكـــلة .

صاحب الدار ــ كيف ذلك ؟

المهندس ــ سوف ترى بأم عينيك كيف ساجد لها الحل . فأنا رجل عملى أكره الخيال واحب الواقع والحلول الواقعية ، اكره الشعر ، واحتقر الشعراء ، احب الامور المادية الملموسة .

صاحب الدار ــ هات برهانك فنرى .

المهندس ــ قف فى مكانك . لا تتحرك . استمع لى ، افتح آذانك ، اصغ لى وركز فكرك فيما ساقوله .

صاحب الدار ــ (وكانهما ادركه خوف) نعم ، نعم سأفعل !

المهندس ــ انظر واسمع باحترام . ارجوك : الاحترام شرط اساسى لعملى وا لافلست على استعداد ان افعل اى شىء . قل لى بصراحة وبملء الحرية : اتحترمنى ام لا ؟

صاحب الدار ــ احترمك ، احترمك . أقسم لك اننى احترمك .

المهندس ــ حسنا . فالاحترام هو أساس العمل والعمل اساس الاحترام ، والاحترام اساس ، والاساس عمل . . وهكذا .

صاحب الدار ــ (بفرح) اشعر اننى ساصبح سعيدا جدا جدا . (يرقص ويقفز بفرح وغبطة)

المهندس ــ هات هات منضدة . (يقف صاحب الدار ثم يهرع فيحضر منضدة بينما يتوجه المهندس الى الكتب والخرائط ، فيضعها على المنضدة ويفتحها ، يساعده فى ذلك صاحب الدار) انظر الى هذه الخريطة (يمد خريطة على المنضدة) هنا الحديقة .

صاحب الدار ـ ليس فى دارى حديقة .

المهندس ـ لا قيمة لهذا . اسمع .

صاحب الدار ـ طيب .

المهندس ـ وهنا الطريق العام .

صاحب الدار ـ ولكن لا يوجد طريق عام امام دارى .

المهندس ـ لا بأس . اسمع اقول لك .

صاحب الدار ـ (بخوف وجزع) طيب، طيب.

المهندس ـ وهنا بيت الجيران .

صاحب الدار ـ ليس لى جيران .

المهندس ـ انت مزعج فعلا بانتقاداتك هذه . اتريد ان تعلمنى مهنتى ؟

صاحب الدار ـ كلا ، كلا .

المهندس ـ اذن استمع لى . الا تحترمنى ؟

صاحب الدار ـ احترمك ، احترمك . اقسم بشرفى على ذلك . هيا عد الى حديثك ارجوك ، لا تأبه لكلامى فانا رجل مسكين .

المهندس ـ آمل ان لا تقاطعنى .

صاحب الدار ـ حسنا . سأفعل .

المهندس ـ سابدأ بقطع الاشجار .

صاحب الدار ـ آ . . . هم . . (يتوقف بنظرة حادة من المهندس)

المهندس ـ ثم ساحرقها . وبعد ذلك ساحول الطريق العام الى اليمين كى يمر فى بيت الجيران . ولكن لا يمكن ان احقق ذلك الا اذا هدمت بيت الجيران ، وهذا

ما سافعله . وطبعا فسوف تقول ان هذا غير منطقى وغير عملى وغير جدى الى آخر ذلك من الكلام الفارغ . ولكننى لا اخترع شيئا قط ولا اعتمد على الخيال ، فانا اكره الشعر واحتقر الشعراء كما قلت لك ، انما اعتمد فى كلامى على النظريات العلمية (يذهب الى الكتب بسرعة فيبحث فيها بفوضى : يرمى كتابا هنا وآخر هناك ، يفرد الخرائط ويبعثرها ويتعثر فيها فيرفسها بقدمه . ثم يجد كتابا صغيرا جدا) انظر الى هذه الخريطة فى هذا الكتاب . ارأيت ؟ هنا، هنا .

صاحب الدار ــ (ينظر) ؟!؟!

المهندس ــ والا بعد ان اقتنعت مبدئيا بهذه الفكرة اريد ان اؤكد لك ان هذه النظرية واقعية جدا ، والسبب ان الخريطة هذه اعتمدت فى رسمها وتخطيطها على نظريات اخرى وسوف ترى (يعود الى البحث بفوضى ووحشية : يقذف الكتب والخرائط التى تنتشر فى كل مكان وتمتلىء الغرفة شيئا فشيئا بها ، يعود بخريطة) انظر الى هذه الخطوط ، تجدها مستقيمة ولكنها فى هذه الرواية تتقاطع ثم تعود متوازية ، والسبب فى هذا التلوى هى الحسابات الهندسية الدورية ... آه ... يبدو انك لا تفهم مسير هذه الخطوط حسنا . سأشرح لك سرها فهو بسيط سهل واضح كالشمس، وخاصة بالنسبة لى اذ اننى قد صممت على حل المشكلة باى ثمن ومهما كلف الامر . انتظر لحظة

(يعود الى البحث وتنشر الخرائط والكتب . يجد ملفا من الاوراق يعود به) انظر الى هذه المعادلة .

صاحب الدار ــ (يريد الكلام ولكنه يصبح فاقد النطق فيشير بيديه الى فمه على انه قد اصبح اخرسا) مم . . . مم . . حمم . هم . . . هم . م. مم. .

المهندس ــ انت ولا شك قد درست الجبر .

صاحب الدار ــ هم . هم . . مم . . م. . مم.

المهندس ــ عام . . . انظر الى هذه المعادلة اذن ، انها من الدرجة الاولى وهذا واضح جدا ، اذا ضربناها بثلاثة، وهذا ضروري كما ترى ، اصبحت من الدرجة الثانية . . وهكذا . . انظر (يفتح الملف فتبدو حزمة من الاوراق الملفوفة يمسك المهندس باحد طرفيها ويعطى الطرف الاخر الى صاحب الدار لتفرد) ترى هناك انها معادلة مبنية بشكل مضطرد علمى منطقى موضوعى ، بدون اى اضطراب ، والثانية تصبح بالالية نفسها ثالثة ، ثم تقسم المجموع على ثمانية كى نحصل على النتيجة الجبرية وهكذا نحصل فى الان نفسه على مجموع المعادلات الثلاثة . ثم ناخذ هذا المجموع ونضربه بستة كى نصل الى الرقم النهائى. وطبعا كما يبدو لك لا تكفى هذه العملية الحسابية انما يجب الاستمرار فنعود الى بدايتها وهكذا انما تشكل دورى منظم اى كلما وصلنا فى البناء الى طابق اعدنا العملية وهكذا ترى التطبيق العملى لهذه النظرية نبنى طابقا فى بناء ما ثم نهدمه ومن ثم نعيد بناءه وهكذا . افهمت ؟

صاحب الدار ـ هم .. مم.م.مم.

المهـــندس ـ مالك ؟ يبدو انك لم تفهم . انت بطيء الفهم وقليـل الذكاء وهذا ما يتعبنى ويثير اعصابى . دعنا مـن الارقام اذن فهى قد تكون صعبـــة ولنعـــد الى الخرائط والرسم (يلقى بالخريطة ويعود الى الكتب فينثرها من جديد ، وتتساقط كتب من السقف ومن الكواليس فتملىء المسرح شيئا فشيئا) ها ، لقد وجدته ، ها هو الكتاب الاخضر (يقلب صفحاتـه) اسمع ، استمع لى جيدا : (واذ قال يوسف لابيـه يا ابت انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين » ... عفوا ... لقد علمـت الان لماذا صعب عليك فهم كلامى . السبب انـنى اخطات فى الرقم فقسمت نتيجة المعادلة على ثمانية بدل من ان اقسمها على احدى عشر . الحق معك . ولكن كان عليك رغم ذلك ان تنبهنى الى اخطائى بدل ان تظل هكذا جامدا كالحمار تنظر الى وتشير بيديك فتزيد من غضبى وازعاجى . كفاك ، توقف من حركاتك وكن عمليا ، ساعدنى فى عملـى ... (يقلب الكتاب) ها .. يجب ان اريك الان الخريطة النهائية لكنها فى الكتاب الاسود . (يعود الى الكتب ليتعثر بها ، وتمتلىء الغرفة بالكتب والاوراق) لقد وضعته بين الكتب هنا ، ولكننى لا اجده هذا غريب، اين هو ؟ انه اهم كتاب بين المجموعة كلها ، ففيـه خلاصة تجاربى واعمالى ، هذا عجيب فعلا ، انـا

متاكد من اننى وضعته هنا بيدى ، هل سرقه احد الحمالين ؟.. (يفكر) غير معقول . (يلتفت الى صاحب الدار) وانت ؟ بدل ان تقف كتمثال بدون اية حركة تقدم وحاول ان تساعدنى فى التفتيش .

صاحب الدار — (يشير بيديه) هم. هم. م — مم.

المهندس — يا الغبى الكسول . اقترب، تعال (يقترب صاحب الدار منه) هيا فتش ، لا اريد ان تضيع اعمالى وابحاثى هباء منثورا ، اريد ان انفذها ، فأنا متأكد من نجاحها ، ولكن اذا لم اجد هذا الكتاب فلن استطيع تحقيق اعمالى ، هيا ابحث معى . انه كتاب صغير جدا اوراقه حمراء اللون وغلافه من المقوى اسود اللون ، انه صغير بحجم الجيب ، ولكن يحتوى على خلاصة تجاربى كلها فله قيمة عظمى ،.. ابحث هناك فى تلك الزاوية ... انظر هنا .. ولكننى لا اجده ، يا لك من غبى .. وكسول .. كسول لدرجة مخيفة . او بالاحرى لا تريد ان تبحث عنه ، ربما كان الامر لا يهمك . او ربما كنت تفضل ان لا اجده لاخفق فى عملى .. او ربما وجدته فاخفيته عنى . يا للجريمة ... (يتوقف ويحدق فى صاحب الدار ويقترب منه شيئا فشيئا) لقد فهمت الان السبب ، انت لا تريد ان اجده، انت لا تريدنى هنا ، بل تفضل حتما ان افشل فى مشروعى ، يا للجريمة .

صاحب الدار — (يشير بيديه) هم ... مم ... م... مم ...

المهندس ــ نعم انت السبب ، انت سبب كل علة واخفاق ، تحدثني عن مشكلة وانت صاحبها مبدعا تدعي الداء وقد اخفيت الدواء ، انت مجرم ، سافل ، منحط ، ولكنني لن اتركك دو ن عقاب ، فلكل جريمة عقاب ... هذا ايها المجرم (ينتضي خنجرا فيغمده في صدر صاحب الدار فيقع جثة هامدة)

(يسدل الستار وبعد بضعة ثوان يدخل الممثلون جميعا ما عدا الحمالين فيصطفون امام الستار . يتقدم صاحب الدار)

المشهد السابع

صاحب الدار ــ آنساتي ، سيداتي ، سادتي . لاحظ المؤلف الدكتور سلمان ان البعض منكم ابدى عجبه واستغرابه بل واستنكاره لهذه المسرحية لانه لم يفهم منها شيئا او إنه قد فهم طرفا منها وغابت عنه اشياء . ولهذا فقد رجاني مع زملائي ان نعود ننحاول ان نشرح لكم مغزى هذه المسرحية . والواقع انها ككل مسرحية ذات مغزى . اخواني ان هذه المسرحية :

الارستقراطي ــ (يشير براسه وعينيه الى انها ممتازة)

صاحب الدار ــ لذلك فقد بدت غامضة ومعقدة نوعا ما ...

الطبيب ــ ولكن فيها حكمة بالغة .

صاحب الدار ــ وهي ...

المهندس ــ (يتابعه) ذات هدف واضح جدا

صاحب الدار ـ الواقع ان فى هذه المسرحية معانى انسانية . . .

الارستقراطى ـ (يشير بالموافقة)

المهندس ـ واجتماعية .

الطبيب ـ وعلمية .

صاحب الدار ـ وفى الحياة كما تعلمون اشياء كثيرة معقدة عويصة لا يمكن شرحها بكلمة او كلمتين .

الطبيب ـ لذلك فان هذه المسرحية قد اخذت من الحياة اكسيرها .

المهندس ـ نقدمته فى بنيان متين

صاحب الدار ـ وهى بسيطة جدا وسهلة الفهم . وباختصار وبصورة عملية ان لهذه المسرحية ككل مسرحية مغزى ومغزاها هو كالاتى :

(يمسك كل منهم بيد الاخر ويرقصون دبكة ويغنون مع الموسيقى المرافقة : عاليادى اليادى اليادى . . .)

ستار ـ باريس فى ١٩٦٣/٦/٨

اشخاص المسرحية

عبد الرفيع الجوهرى

حينما يتكلم العبيد ..

اهـداء : الى رجل الثورة غاستون صوماليو فى زحفه العظيم نحو ليوبولدفيل

دقات طبول زنجيه
اقدار تزحف عاتيه
بعث الكونغو .. ثار العبد
« لومومبا » يلهث عاريا
« بترس » يا عزة غابات
الارض . .حقول القمح لنا
الشعب ارادته صارت
العبد يهد زنازنه
فهنا شعب .. وهنا قدر
والفجر يدق مدائننا

وصدور « سوداء » عاريه
وعيون جوعى للحريه
هز الغابات المنسيه
فى قلب (صوماليو) اغنيه
ما عاد الكونغو الهيه
ما عاد الزنجى اضحيه
اعلاما بالدم مرويه
فى قلب الثائر وحشيه
وهنا اشلاء مرميه
رغم الاشلاءا لمرميه

محمد ابراهيم بوعلو

قصة

صيد الفجر

القصبة التى كانت بين يدى لم يبد عليها انها فى حاجة الى ان احركها ما دامت لم تتلق اى امر بذلك ، فالخيط المرتمى بعيدا والذى كانت تجمد عليه البرودة فى طرفه الاخر لم يتحرك بعد ، لانه هو الاخر لم يشعر باى شىء يجذبه .. وبدا لى اننا فى انتظار حركة ما لتتغير هذه الرتابة التى اخذت تتسرب الى داخلى مع النسمات الباردة ، وتبعث فى نفسى سأما لست فى حاجة اليه وانا انتظر الصباح ..

الامواج الصاخبة لم تفلح فى ان تسرع بايقاظ الفجر الذى انتظره كانت ثائرة معربدة ، ولكنها لم تحمل معها ذرات الضباب التى تعلن عادة عن مقدم الفجر ..

اصدقائى كانوا بجانبى نياما . بعد ان تعبوا من الصيد ارجاوه الى نهار الغد .. غطيطهم الذى يرتفع من حين لاخر اخذ يوقع مع

صخب الامواج نغمات رتيبة ، شعرت معها بحاجة اكيدة الى ان يطرأ شيء ما ليغير هذه الوضعية ..

تسمرت يداى على القصبة اكثر من ذى قبل ، حتى انه بدا لى انهما اصبحتا والقصبة شيئا واحدا ، مما جعلنى اكاد اعتقد اننى لن اقوم باى رد فعل اذا ما تحرك الخيط .

وانتقل اهتمامى بيدى اكثر من اهتمامى باى شيء آخر ، واصبحت انتظر ادنى حركة لاختبرهما ، ولم اعد اطمع فى اى صيد بمقدار ما ادلمع فى الحصول على يدى من جديد ، وعجبت كيف يمكن للمرء ان يفقد يديه اذا ما هو احتفظ بهما فى وضع مماثل ..

« الصبر هو الشيء الوحيد الذى يغنمه الصياد حتى ولو لم يصطد شيئا » ذلك ما قلته لنفسى ، غير اننى عقبت على ذلك : « ولكن اليس لهذا الصبر من آخر .. ! ».

كان السأم الذى تسرب قبل قليل الى داخلى يتمدد فى شكل دفعنى الى التفكير فى ان اصنع اى شيء .. لولا اننى تذكرت ان الذين يستعجلون الصباح هم المستيقظون وان اصدقائى النيام يحتاجون الى ليل اطول لياخذوا قسطهم من الراحة .. وان اية حركة قد اقوم بها ربما ستجعلهم يستيقظون وانا لست فى حاجة الى ذلك ما دامت الفرصة لم تحن بعد ، وما دمت لم اتلق امرا من الطرف الاخر من الخيط ...

وانتقلت الى التفكير فى امر هذا الطرف البعيد الذى يقبع فى الاغوار السحيقة ينتظر من يجود عليه بعضات ناعمة .. هذه العضات التى اخذت اتلذذ بها مسبقا واشعر بعذوبتها وكانها تدغدغنى فتدفع الدم الى عروقى ، حيث يجرى الى يدى يبعث فيهما حركة ترجعهما الى.

ما أعظم ان يمتلك المرء يديه من جديد بعد ان يمطلا عن الحركة امدا طويــلا .. !

وشعرت بفرح عظيم وانا استقبل يدى اللتين غابتا عنى منذ اول الليل ، بيد اننى عندما احببت ان استعملهما احسست بثقل القصبــة التى كانت تمتد امامى والتى كادت ان تفقد الخيط الذى علق بها ، ذلك اننى لم افلح فى ان اتبينه ، وبدا لى ان الفجر ما زال فجرا كاذبا ، فشعرت بخيبة ذهبت بالفرح الذى كنت اعتقد معه اننى تسلمت يدى ... وعدت من جديد اشعر بتسمر يدى على القصبة ، وبانكماشى على نفسى فى هياة تدعو للرثاء ..

الصمت الطويل الذى كان يخيم على رفاقى وهم من حولى نيــام جعلنى اعود الى نفسى من غير ان اطلب منهم اى شىء .. فحتى لو اننى ايقظتهم ما كنت لانتظر منهم الا اسوأ القول .. فمن عادتهم اذا ما ايقظتهم آن يفاجؤوك ، بغلظة وهم يسالونك : « ماذا تريد منا .. ؟ » ولكننى كنت اجيب نفسى من غير ان اتكلم : « لا شىء .. لا أريد منكم شيئا .. ساسهر وحدى ، وسارتقب طلوع الفجر لانصرف . . ولاسترد يدى ولاكون حرا فى استعمالهما من جديد .. » حقا ، لقــد كنت فى حاجة الى ان اكلم ايا كان ، ليس قتلا للوقت فحسب ولكن لاشعر ايضا بانه ، فى الامكان ، ان اتكلم .. وما دام المرء لا يستطيع ان يقول كل الامور التى يريد آن يقولها فعلى الاقل ان يحرك شفتيه ويسمع حركاتهما فى اذنيه ليدرك حقا بانه ما زال حيا يرزق .. بيد انه ليس فى استطاعتى ذلك ايضا ، ما دام هؤلاء بجانبى نياما ، وما دمت احترم حريتهم فى ان يفعلوا بانفسهم ما يشاءون ..

كان من الممكن جدا انْ اكون انا الاخر نائما ، لو اننى احببت ذلك ... ولكننى ارتايت انه من الافضل ان اقوم بالحراسة ، فى الوقت

التى ينام فيه هؤلاء .. وانه من الافضل للمرء ان يراقب ولو مرة واحدة فى حياته كيف ينفلت الفجر من ظلام الليل .. غير انه لم يكن يخطر ببالى ان الوقت سيطول بمثل هذا المقدار .. ولعل مرد ذلك الى هذا الجمود الذى اصاب الطرف الاخر من الخيط . اذ لو كان هناك حظ فى الصيد لما شعرت بطول الوقت ، اما وان الاسماك اتفقت، فيما بينهما ، على الا تاكل من اطعامى التى اعددتها فان امر هذا السام موكول كله اليها اذ بحركة بسيطة من طرف الخيط تجعلنى اشعر من جديد بان على ان قوم بردود فعل تعيد الى نفسى حيويتها ونشاطها.

ربما انا سىء الحظ ، ولعل اصدقائى سيقولون لى ذلك عندما يستيقظون ، والا لماذا لم اصطد شيئا .. ؟

« ليس الذنب ذنبى اذا لم تاكل الاسماك اطعامى بل ربما هى الاخرى نائمة فى جوف البحر تنتظر طلوع النهار لتشرع فى الاكل .. ما اتفه ما يعلل المرء به نفسه ، فى ظروف مماثلة .. » ذلك ما ختمت به تخيلاتى وانا اتزحزح فى مقعدى ، لقد شعرت ببرودة فى مؤخرتى.. ومع ذلك لا يمكننى القيام الا اذا كان هناك شىء يستحق ذلك .

لست ادرى ما الذى يدفعنى الى انتظار نتائج سارة ، مع انه من الممكن جدا الا احصل على اى شىء .. والا اتلقى اية حركة.. وانتقلت افكر فى امرى : هل من الضرورى ان يكون المرء متفائلا حتى ولو لم يحصل على اى شىء .. اننى قد اعد معتوها .. لاننى لم انم كما فعل اصدقائى .. فهم على الاقل يغنمون نوما هادئا بجانب البحر .. وابتسمت « يا له من غنم .. ! » ولكن السؤال كان يشد على الخناق : « هل من الضرورى أن أنتظر نتائج سارة .. » وسرعان ما استعرضت افكار اصدقائى فى هذا الشأن ، فهم ولا شك ينتظرون

ياسى بفارغ الصبر .. ان القى بالقصبة جانبا ، وان اغط فى نوم عميق كما يفعلون .. بيد اننى وجدت نفسى مدفوعا لابرر يقظتى : « فما دمنا فى عالم الممكنات فكل شيء ممكن .. ولماذا لا يكون هذا الممكن نتيجة سارة . ! » ولكننى شعرت بان الجواب ليس شافيا ، وفكرت وانا اراقب نجما بعيداً .. : « ان البحر امامى يعج بالحيتان ، واطعامى منتقنة ، وانه ليس على الا ان احس بحركة ما حتى اجر الخيط .. فما دامت اسماك هناك فان صيدها محتمل .. ومحتمل جداً ! » . ولكن لماذا لا احرك الخيط .. ؟ لماذا لا اجره شيئا فشيئا فتظهر الاطعام للسمك فتنقض عليه .. ؟ حقا ، كان على ان افعل ذلك ، من اول الليل ، وشرعت فى جر الخيط بتؤدة ، اجعله يتحرك كما لو كان شيئا حيا . ثم .. ماذا احس ؟ هل .. ؟ ولم اترك لنفسى حرية التساؤل ، بل لم اشعر الا ويداى تعملان فى سرعة .. اخذت أجر الخيط .. ألفه فى البكرة بسرعة هائلة .. ثم وقفت .. حقا ان هناك شيئا ما يتحرك فى نهاية الخيط يستحق القيام .. كم ساحتاج الى الوقت لاصل بــه الى الشاطيء .. انه يمانع .. لاستغل الامواج لتعيننى عليه .. « لا شيء افضل للصياد اذا ما كان صيده ضخما من الانسجام مع التيار .. اترك التيار يساعدك .. لا تعاكسه .. لا تجذب إلا اذا اقبلت الموجة .. كن رزينا ، فهذا الصيد كلفك ليلة بكاملها .. » اخذت اخاطب نفسى بذلك وانا احاول ان اتبين نهاية الخيط .. لقد اصبحت ارى بوضوح نقطة انطلاقه من راس القصبة ..

وتحرك احد النيام وهو يسال : « هل اصطدت شيئا .. ؟ » واجبته فى انشراح : « نعم .. لقد تم ذلك فى الوقت المناسب » .

وقام وهو يفرك عينيه بيديه .. ثم تطلع الى البحر وهو يقول : « كن حكيما .. لا تستعجل .. »

سـلا : ١٩٦٤/١١/٢٢

ابراهيم السولامـــي

طـمــوح

ان يكن ثغرك تفاحا وسكر
او يكن عودك من عاج ومرمر
او تكن عيناك دفئا وفرح
فخطايا لم تزل فى التيه تعبر
فى سهول الشوق فى بحرها تمخر
قربى خطوك منها اودعي الخطو بعيد
فانا سيان ان جئت ـ هنا عندى ـ وان ابقى وحيد
انت ان جئت وعشنا لحظتين
وتذوقنا رضاب الشفتين
فسامضى
لن يطوقنى خيالك
لن لن يؤرقنى جمالك

فانا اهوى المسير
سوف ابسط لك كفى للوداع
ثم تخفينى عن عينيك البقاع
وغدا ان نكرت شهد الشفتين
وحنان اللحظتين
سوف اعدو يا حبيبى
بين لفات دروبـــى
فانا اهوى المسير
طول عمرى القصير (١)

---

(١) ـــ من ديوان « حب » الذى ستصدره منشورات اقـــلام ..

احمد المجاطى

جولة في شعر العدد الماضى

لقد كان من جملة القضايا التى اثارتها مجلة اقلام ولو على مستوى التامل واعمال النظر قضية الشعر فى هذه البلاد ، فقد نشرت فى اعدادها الخمسة مجموعة من القصائد لا شك انها الفتت انتباه المهتمين بهذا اللون الادبى الممتاز وبعثتهم على التفكير فيها والمقارنة بينها وبين سائر الفنون الادبية الاخرى التى دابت هذه المجلة على تقديمها الى جانب الشعر ، بل لقد تطور هذا الاهتمام مع تتابع الاعداد واستمرار الظاهرة حتى تبلور فى حكم عام يمكن تلخيصه فى ان الشعر الذى نشرته المجلة ليس فى مستوى المعركة التى تخوضها سواء فى مضمونه الهزيل او فى شكله المتهافت او فى الدور الذى يمكن ان يلعبه فى سبيل بناء ثقافة راسخة القدم سامقة البنيان ، مستمدة من واقعنا ، قادرة على دفعه وتوجيهه .

غير اننا لم نر احدا من اصحاب هذا الراى قد فكر فى ان يعلن رايه فى دراسة وافية ولا فى مقال مقتضب ، ومن ثم فاننا لن نقيم وزنا

لتلك الاراء لانها ترددت فى الهواء فذهبت مع الريح ، ولو ان القضية فى نظرى تحتاج لان تعالج باقلام مختلفة تتداول الراى قبل القطع بالكلمة الاخيرة . وما اريده هنا دراسة قصائد العدد الماضى . الا اننى رايت ان اربطها بقصائد العدد الماضى ولو بعيد ، وذلك لسببين : احدهما ان معظم شعراء العدد الماضى قد ساهموا فى الاعداد السابقة كلها او بعضها والاخر هو ان المجلة تلتزم خطا فكريا معينا لا شك انه اثر فى اختيار الشعراء لمضامين قصائدهم .

هذه جملة من الملاحظات كان لا بد من ايرادها قبل ان نتناول بالنقد قصائد العدد الماضى الاربع .

اما القصائد نفسها فسناخذ لنقدها طريقين ، اولاهما تتعلق بالاطار التاريخى العام ، وتتعلق الاخرى بالمستوى الفنى فى كل قصيدة بمفردها .

فى الاطار العام : ان الظاهرة الاولى التي تثير انتباه الدارس لجميع القصائد المنشورة فى اقلام ، والتى تتجلى بصورة خاصة فى قصائد العدد الماضى هى ان هذه القصائد ليست وليدة تطور تاريخى على مستوى القطر بل هى على العكس من ذلك وليدة تفاعل مع التيارات الشعرية المختلفة فى الاقطار العربية الاخرى ، فنحن لا نستطيع ان نقول عن اى شاعر من شعراء اقلام بانه امتداد لشاعر كعلال الفاسى او الحلوى او ابن ابراهيم او عبد القادر حسن او غيرهم من شعراء الجيل السابق ، ولكننا نجد من بينهم من ينهج فى بناء قصيدته منهج شعراء التيار التجديدى الذى اعقب تيار المحافظين وتبلور فى مجلة ابولو وفى شعر المهجر ، ثم بقيت موجات منه تمتد وتنحسر وتتعرض لمؤثرات مختلفة ، ويمكن ان نعتبر عبد

السلام الزيتونى من المتاثرين بهذا التيار ، كما نجد شاعرا آخر هو عبد القادر القطا ينسج على منوال قصيدة النثر التى شاعت فى لبنان زمنا ثم تقلص ظلها بعد ان ازدهرت حركة الشعر الحديث المرتكز على التفعيلة الواحدة ، والى جانب هذين التيارين هناك تيار آخر يعتمد على النظام التقليدى للقصيدة الا انه يفعل ذلك فى غير جمود ، فهو يفتح نفسه للتطور ، على الا يتم ذلك عن طريق الطفرة والمفاجاة بل عن طريق التفاعل الهادى والاقتناع المطمئن ويمكن ان ندرج فى هذا التيار الشاعر عبد الكريم الطبال فى قصيدته احلام عاصفة .

على اننا لو تجاوزنا البناء العام الى المضامين لالفينا هؤلاء الشعراء جميعا يستعينون بكثير من وسائل الشعر الحديث كالاعتماد على الرمز والتغلغل الى اعماق النفس من اجل تحقيق التقاء مثمر بين وجدان الفرد ووجدان الجماعة التى ينتمى اليها.

واذن فقد تاثر شعراؤنا جميعهم بمضمون القصيدة الحديثة ولو ان تاثرهم كان متفاوتا ، اما من حيث الشكل فقد تاثروا بتيارات مختلفة كما بيننا من قبل .

ولا يفوتنى هنا ان انبه الى ان ما قدمته من الاشارة الى التيارات الشعرية المختلفة لا يعنى ان لدينا من يمثلها تماما ، او ان هذه التيارات موجودة بالفعل عندنا ، وانما اقول ، ان شعرائنا الشباب قد ولدوا من غير جذور فراح كل واحد منهم يبحث عن تيار ينتمى اليه بوعى او بغير وعى حتى اذا وقع عليه تمسك منه بالشكل وظل مضمونه مفتوحا على التيارات الاخرى ، وفى غير وعى ، مما سبب قلقا فى الشكل وفى المضمون جميعا ، وابتعد بشعرنا عن ذوق

الجمهور بل وحتى ذوق خاصة المثقفين .. وهكذا لا يبقى لهذا الشعر من قيمة حقيقية الا فى النية الطيبة التى خرجت به من دائرة التكسب والتمسح بالاعتاب ودفعته فى طريق التمرد وتلمس صفاء الذات وهما شرطان فى كل ثورة فكرية طدفها البناء ، لذلك كان املنا فى امكانات شعرائنا الشباب اقوى واوكد من اطمئناننا الى ما حققوه حتى اليوم .

فى المستوى الفنى : ان قصائد العدد الماضى متخلفة جميعها من حيث المستوى الفنى ، فالصور مالوفة او غامضة ، والتعابير مادية كانما كان المقصود منها ان تدغدغ حس القارىء لا ان ترفعه الى افق التجربة .

خريف بلا عاصفة للشاعر عبد السلام الزيتونى ، قصيدة ذات مضمون ثورى ، والعاصفة هنا ترمز الى الثورة ، فكأن الشاعر ضاق بالحياة الرتيبة التى عشش فيها الزيف وخيم عليها الصمت فتمنى لو تهب عاصفة تذهب بآثار الموت والخنوع ، وقد رمز لهما الشاعر بالاوراق الصفراء .

فالفكرة طيبة الا ان تناول الشاعر لموضوعه قد اساء اليها انظر مثلا الى المفارقة فى هذين البيتين ، والخطاب فيهما موجه الى العاصفة :

ثورى اقاذفة الغبار ودمدمى حتى الصباح

. . . .

. . . .

واذرى عروقك والعقى عن كرمنا بعض الغبار

فالشاعر فى البيت الاول يصف العاصفة بانها تقذف الغبار الا انه يريدها فى البيت الاخر ان تمسح الغبار عن الكروم ، ولست

ادرى كيف يتسع لهذه العاصفة المسكينة ان تقذف الغبار وتمسحه فى وقت واحد .

وشىء آخر لا بد من الاشارة اليه وهو استعمال بعض الكلمات الغامضة مثل كلمة (المدار) فى قوله :

مرى على التل الحزين وتلعة الحقل المدار

وكلمة الزفيف فى قوله :

حاذى الذرى فالذروة الكبرى تحن الزفيف

ولفظة (يستخيف) فى قوله :

والزيف عشش فى الربا قزما بذالا يستخيف

ولو ان هذه الكلمات جاءت فى غير القافية لقلنا بأن الشاعر واثق من سلامتها ووضوحها .

بقى ان انوه برغبة الشاعر الملحة فى التفوق على نفسه فى كل قصيدة ينتجها ، وتلك صفة لا يتوفر عليها الا قليل من شعرائنا الشباب .

احلام عاصفة : كتب هذه القصيدة الشاعر عبد الكريم الطبال وهو يرمز بالعاصفة الى المستعمر او الى الحاكم المتصلب ، وهو رمز عليه سيماء من شخصية الشاعر ، ذلك ان كلمة عاصفة كثيرا ما رمز بها للثورة .. اما القصيدة نفسها فليس فى وسعنا ان نفهمها حق الفهم من غير ان نعرض لرمز آخر هو رمز الصفصاف، لقد اراد به الشاعر الشعب ، فكان القصيدة تريد ان تقول بأن احد الحكام اقتضت مصالحه ان يضطهد شعبه ، ولكن رغبته ظلت سرابا امام ارادة الشعب القوية .. فالقصيدة اذن ذات مضمون ثورى ،

اما من حيث الشكل فان السيد الطبال لم يستطع بعد ان يتخلص من سيطرة النغم التقليدى بالرغم من محاولته الجاهدة .. لقد اختار لقصيدته البحر الكامل الا انه اضطرب فى استعمال التفعيلة فقد بدأ متحررا وختم متحررا ولكن وسط القصيدة كان تقليديا بحتا ، اما انا فلم يرقنى من هذه القصيدة سوى وسطها التقليدى ، ففيه نفس بطولى رائع يصل ذروته فى هذا البيت :

اين الاشاوس اننى ساح بلا
شرف الوغى، اين اصطفاقات الرماح

لكن هذا الايقاع البطولى ليس عاما فى القصيدة ، فبعض مقاطعها موغل فى الاسفاف الى درجة اللغة الفصيحة .

(ياما) تهمهم كالمجانين الصغار
(ياما) تغمغم وهى تحلم بالفخار

وفى الجملة ، فان قصيدة الطبال بقصرها ، وباضطرابه ايقاعها لم تقو على ابراز مضمونها الثورى الحى .

ايار والايتام : قصيدة للشاعر عبد القادر القطا ، نظمها على غير وزن فهى قصيدة نثر ، وهذا اللون من الشعر لم يعد اليوم يجد الحماس الذى كان يجده قبل سنوات ، فقد ازدهرت حركة الشعر الحديث المرتكزة على التفعيلة واثبتت جدارتها . وكان ذلك على حساب قصيدة النثر .. فهل يكون الاخ القطا من الغفلة بحيث فاتته هذه الحقيقة !؟

وبعد فهل يتسع لى بعد الذى قدمت ان اجمل مشكلة الشعر الجديد عندنا فى سؤال هو : من اين نبدأ ؟

انبدا من ابى الطيب ام من شوقى ام من عبد الصبور ؟ .. لقد نمنا طويلا وادلج الناس ، فلما افقنا وجدنا السبل امامنا متفرقة وقعد بنا الجوع والمرض والتخلف .. فمن اين نبدا ؟

الراى عندى ان نفتح انفسنا لمختلف التيارات ، وان نقف طويلا عند كل نقطة تحول فى تاريخ الشعر العربى منذ اقدم عصوره الى اليوم وان نربط بين ذلك التطور وبين الوان التطور الاخرى التى اصابت المجتمع العربى فى مستوياته الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وان نتزود لذلك كله بالفهم العميق لتراثنا الشعرى مع تفتح واع على الثقافات الاجنبية فى جناحيها الشرقى والغربى والقديم والمحدث ، وبدون ذلك ستظل مواهبنا تضمر وتتقلص وتخبو حتى تندس فى زحمة الحياة اليومية الرتيبة .

واخيرا فلا بد من كلمة اعتذار للشاعر السورى الاخ احمد محمد حيدر فقد منعنى من ادراج قصيدته فى هذا النقد سبب واحد هو اهتمامى بتوحيد النظرة الى قصائد العدد الماضى وربطها بقصائد اخرى مشابهة لها فى الغرض والاتجاه بقصد اعطاء فكرة متكاملة من هذا النوع من الشعر الجديد والاجابة عما اثاره من مناقشات وآراء لم يجرؤ اصحابها على نشرها . وتحية لاخوانى الشعراء جميعهم .

محمـــد بــرادة

مرة في كل شهر

معركة الشعر في القاهرة

رحم الله عباس محمود العقاد ! فقد كان عظيما حتى عندما يواجه تيار التطور ، وينتصب ليهاجم ما يعتبره مسا بالقيم العليا فى الخير والحق والجمال . كان رئيسا للجنة الشعر فى المجلس الاعلى للفنون والاداب ، فكان يعارض فى السماح للشعر الحديث بخوض غمار المسابقات والجوائز ، وكان يعبر عن افكاره تلسك فى المجلات والجرائد . اما خلفاؤه ــ وعلى راسهم عزيز اباظة ــ فقد احسوا بالخطر وضعفوا امام تيار التجديد الجارف ، فلجاوا الى الدولة يستنجدون بها لاستصدار قرار حكومي يمنع نشر الشعر الجديد واذاعته . وكانت مفاجاة للجميع ، خصوصا بعد قراءة الحجج الواهية التى استند عليها اعضاء اللجنة المحترمون ، من بينهم الدكتور زكى نجيب محمود !

وانتهز الشعراء الجدد الفرصة ، فانطلقت اقلامهم تندد بهذه الظاهرة الخطيرة ، ظاهرة الوصاية على الفن والادب ، ومحاولة تجميد تيار التقدم بدعوى « احتفاظ الامة بشخصيتها ، وطابعها المميز .. وبديهى انه اذا اريد لشخصية الامة ان تظل محتفظة بطابعها المميز ، فلا مناص من قيام اطار يدوم على مر التاريخ لكى يكفل لها الثبات برغم تنوع المضمون داخل هذا الاطار عصرا بعد عصر .. »

كان متزعم الحملة المضادة صلاح جاهين الشاعر الفنان الذى رسم لوحات كاريكاتورية لاذعة فى صحيفة الاهرام ، من بينها لوحة تمثل شكسبير وابا العلاء المعرى وهما يطلان على اعضاء لجنة الشعر ويتساءلان عما اذاكا ن شعرهما سيحظى بموافقة الاعضاء الموقرين . ثم كتب الدكتور عبد القادر القط مقالا قيما فى مجلة الرسالة يدفع فيه التهم التى وجهت له بمعاضدة الشعر الجديد وتفضيله على الشعر التقليدى فى المجلة التى يشرف عليها . وكتب احمد عبد المعطى حجازى مقالا فى «صباح الخير» اوضح فيه الاسس العميقة التى تستند اليها حركة الشعر الحديث . وفند صلاح عبد الصبور الاسباب المتهافتة التى بنت عليها لجنة الشعر طلبها من رئيس المجلس الاعلى للفنون والاداب ، وقال فى هذا الصدد :

« ولو التزمنا بنظرية الاطار الثابت فى ادبنا العربى لما ولدت الرواية العربية واكتفينا بالمقامات ، ولما ولد المسرح العربى الحديث، وكفانا مخايلات خيال الظل (وهو مستورد على ارجح الاراء) ،ولو التزمنا بنظرية الاطار الثابت لظللنا نرتدى الجلابيب والنعال ... »

واضح ان هذه المعركة ليست جديدة ، لان المجلات العربية الصادرة فى السنوات الاخيرة ، تعج بالمقالات النقدية التى دبجها النقاد

مهاجمين أو مدافعين عن الشعر الحديث .. ولكن العنصر الجديد ، هو الاستنجاد بالدولة ، وتغليف النوايا الرجعية بدثار المبادىء القومية المزيفة .. وفى ذلك دليل على ضعف موقف ممثلى الشعر التقليدى، الذين لم يقدروا على خوض المعركة بأنفسهم ، والخضوع لقانون الصراع الحر الخلاق ، فجعلوا يبحثون عن سند بعيد عن مجال الفن والادب . واعتقد انها فرصة ذهبية اتيحت لحركة الشعر الحديث ، كى توضح وتعمق اسسها ، وتربط علاقات وثيقة بالجمهور، خصوصا اذا استغلت امكانية اعتمادها على التفعيلة ، لنظم مسرحيات شعرية تستقى موضوعاتها من مشاكل الجماعة ، وتلونها بأصباغ فنية اصيلة .. مثلما فعل الشاعر نجيب سرور فى مسرحيته « بهية وياسين » .

.. ونهضة المسرح

سيظل المسرح ــ بمفهومه الصحيح ــ حقلا خصبا يمارس فيه الانسان حرية الابداع المعتمد على الصميمة والتجاوب . فالى جانب اختراعات السينما والتلفزيون ، يحتفظ المسرح بخصوصيته ، وقدرته على التاثير الحار المباشر ، وبهذه الصورة يصبح المسرح ركيزة اساسية فى هيكل الحضارات ، ووسيلة فعالة لبث الافكار الحية .

وكل من يزور القاهرة يدرك الاهمية الخاصة التى توليها الدولة للمسرح ، والتخطيطات المتكاملة التى تهيىء لنهضة واعية . ولم يسلك المسؤولون عن المسرح فى الجمهورية العربية المتحدة ، طريق الفرض والتعسف ، بل افسحوا المجال للتصارع الحر ، والبقاء للافضل . وهكذا تجد ـ الى جانب مسرح اسماعيل ياسين ، ونجيب الريحانى ـ مسرح الجيب ، ومسرح الحكيم ، والمسرح القومى ومسرح البالون ،

والمسرح الفكاهى . وفى اسبوع واحد تعرض مسرحيات متنوعة مثل : شمس النهار لتوفيق الحكيم ، والخرتيت لاونيسكو ، وبهية وياسين لنجيب سرور ، ووراء الافق لاونويل ، وغلطة العمر ، وانا فين وانت فين الخ . .

لا يقتصر الأمر على تقديم هذه المسرحيات ، بل هناك مجلة متخصصة فى المسرح ، ونقاد يناقشون على اعمدة الصحف ، وطلاب يتابعون دراساتهم العليا فى فنون الدراما ، وندوات تعقد ، يحضرها المواطنون ليناقشوا المؤلف والمخرج والممثلين ... حركة متكاملة الجوانب ، تهدف الى ترسيخ اسس فن الدراما ، وتعميق مستويات المسرح العربى الحديث من خلال المقارنات ، والدراسات ، والترجمات

وقد تمكنت من مشاهدة ثلاث مسرحيات هى : شمس النهار ، والخرتيت ، وبهية وياسين .

وتعتمد مسرحية توفيق الحكيم على اسطورة مقتطفة من الف ليلة وليلة ، ملخصها ان ابنة الملك ترفض ان يزوجها ابوها ، وتصر على ان يستدعى المنادى كل من يأنس فى نفسه الكفاءة بغض النظر عن وضعه الاجتماعى ، لتختبره بنت السلطان « شمس النهار » ، واذا ما اعجبها واقنعها ؛ تزوجته رغم معارضة والدها .. وتقدم صعلوك ، له منطق غريب : انه لم يغدها بالقصور والجوارى والجواهر ، ولكنه وعدها بان يترك لها مجال التجربة فى الحياة ، وان تشقى الى جانبه حتى تستطيع ان تتذوق حلاوة العيش . ثار السلطان طبعا لانه لم يرض لابنته ان تنزل من علوها لتشاطر الصعلوك شقاءه .. ولكن شمس النهار شغفت حبا بهذا الشخص الغريب الذى يدعوها الى ممارسة

التجربة ، والتخلى من الامتيازات الموروثة .. وتبدأ الرحلة ، ويكتشف «الخطيبان» قضية اختلاس نفذها مسؤولان عن بيت المال فى امارة الملك قمر الزمان .. فيستوليان على صرة النقود المختلسة ويحملانها الى قمر الزمان بعد ان تزيت شمس النهار بزى جندى . وعند هـــذا اللقاء يدور الحوار الاساسى الذى قصد اليه الحكيم من كتابة مسرحيته، وهو يتلخص فى ضرورة وجود « اخلاق » تضبط سلوك الناس ،وتحمى القيم والمقاييس من التدهور .. وهذه الاخلاق لا يمكن ـــ فى رايه ـــ ان تفرض ، بل يجب ان تنبع من الداخل ، وان يستشعر الفرد ضرورتها .. ان من يشاهد المسرحية يحس ان الحكيم يعالج موضوع الساعة فى بلاده ، وهو كيفية تطبيق الاشتراكية تطبيقا سليما ، ونبذ التقاليـــد الرجعية المتحدرة عن عهود التعفن والطبقية . وكان موقف النقاد من افكار الحكيم على نوعين: فهناك من راى الحل الذى دعا اليه الحكيم فى مسرحيته مغرقا فى المثالية، ومفتقرا الى المعاناة الحق ، وانه اشبه ما يكـــون بتحليل عقلى بـــارد ، يستجيـــب لدافـــع المسايـــرة ، والتكيف ، اكثر مما يعكس موقفا اصيلا . وهذا هو راى الزميل رجاء النقاش ، وانا اوافقه عليه ، وقد اعود فى مناسبة اخرى لتحليل وجهة نظرى . ثم هناك فريق آخر من النقاد صفقوا للمسرحية واعتبروهـــا خطوة هامة لتثبيت دعائم الاخلاق الاشتراكية العربية ، ونصرة طبقة البروليتاريا .. وعلى راس هؤلاء النقاد محمود امين العالم الذى كتب مقالا طويلا فى « المصور » تحت عنوان « انت صعلوك ولكنك انتصرت» . والعجيب اننى اذكر محاضرة القاها الاستاذ العالم فى سنة ١٩٦٠ من مسرحية «رحلة الغد» لتوفيق الحكيم ، انتقد فيها اصرار الكاتب على التشبث بالتفرقة بين العقل والقلب ، وعدم القدرة على التخلص مـــن

المثالية عند مواجهة انتصارات الانسان . ولست اجد فرقا يذكر بين افكار الحكيم فى مسرحيته «رحلة الغد» ، ومسرحيته الاخيرة «شمس النهار» .

مسرحية الخرتيت مثال ممتاز لمسرح اللا معقول وهى تعالج ازمة التحول فى المجتمع الاوربى .. ان اونيسكو يسجل فشل المثل «الانسانية» التى احتضنتها البورجوازية ، ويطرح سؤالا جوهريا ، وهو : هل من الضرورى ان نتشبث بالمبادىء فى عصر آثرت اغلبيته ان تعيش حياة اقرب الى حياة الغاب ؟ وهو يرمز بالخراتيت التى تغزو المدينة الى التحول الذى اصاب الناس ، والى تهافتهم على كل ما هو حيوانى ، وغريزى . الا ان الشخصية الرئيسية فى المسرحية تظل — وسط اليأس — مصرة على البحث عن مبادىء انسانية جديدة .

وكان المخرج حسين جمعة موفقا الى حد الابداع فى ابراز العناصر الدقيقة التى يعتمدها اونيسكو فى بنائه الدرامى .

والمسرحية الثالثة «بهية وياسين» لـ نجيب سرور ، اعتبرها حدثا هاما فى المسرح العربى المعاصر ، لانها اضافت اشياء كثيرة فى الشكل والمضمون على السواء . فهى مكتوبة بالشعر الحر المطعم ببعض الكلمات الدارجة .. وفى ذلك ابراز لامكانية جبارة تستطيع ان تفصل فى هذه المجالات العقيمة التى لا تنى تكرر نفسها حول صلاحية الشعر الجديد . وموضوع المسرحية فى منتهى البساطة والعمق معا .. بهية وياسين ، شابان من قرية «بهوت» ، يتحابان ، ويريدان الزواج .. ولكن اليد قصيرة ، لان الباشا الاقطاعى ، فى عهد ما قبل الثورة ، يستغل الفلاحين ، ويستنزف خيراتهم .. ويطول الانتظار ، والاحوال

تزداد سوءا ، والوعي يتبلور ،.. فيدرك ياسين ان الباشا هو العقبة التي يجب ان يقضي عليها ، فيدعو الفلاحين الى تنفيذ عمل ما ؛ ويقومون باحراق قصر الباشا .

لقد استطاع الشاعر نجيب سرور ان يصور لنا نمط الحياة الرتيبة ، العجفاء ، التي كان الفلاح المصري يعيشها قبل الثورة ؛ وذلك في اطار انساني ترفرف عليه احلام بهية واشواقها المتطلعة الى بيت تنعم فيه بالسعادة مع حبيبها ياسين .

إن لهذه المسرحية قيمتها ، لانها لا تقتصر على تشخيص فترة مظلمة من تاريخ الشعب المصرى ، بل تعمل — فى نفس الوقت — على تجسيد قوة طبقة الفلاحين ، وتعميق فكرة التضامن الضرورى لكل انطلاقة بناءة .

الرباط — محمد برادة

أنبـاء ثـقافيـة

× انعقد بالدار البيضاء ، بالمعرض الدولى ((موسم الكتاب العربى)) من ٢٢ نونبر الى ٧ دجمبر ، تحت اشراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية .

• يصدر قريبا من منشورات عويدات بيروت كتاب « صراع الطبقات » للكاتب الفرنسى ريمون ارون . قام بنقله الى العربية الدكتوران سامى الدروبى وجمال الاتاسى .

× تترجم الان الى اللغة الروسية مختارات شعرية وجدانية للشعراء اللبنانيين ايليا ابو ماضى وسعيد عقل وشفيق المعلوف وستنشر دار المنشورات ((بروغريس)) فى موسكو هذه المختارات فى كتاب .

• « شتاء البحر اليابس » رواية جديدة للاديب السورى وليد اخلاصى ستصدر قريبا عن منشورات عويدات بيروت

× تقرر تاجيل مؤتمر الادباء العرب الذى كان من المقرر عقده فى بغداد فى منصف الشهر الجارى الى يوم ٢١ ديسمبر المقبل وستوجه الدعوة الى ١٥٠ اديبا من مختلف الدول العربية .

• تقرر ان يعقد فى بغداد يوم ١٦ يناير المقبل مؤتمر لنشر الثقافة العربية فى الخارج وستشترك فيه البلاد العربية

× **صدر فى بغداد ديوان السيد حيدر على ، الجزء الثانى، تحقيق وتعليق على الخاقانى .**

• سيعيد الشاعر العراقى عبد الصاحب عمران الدجيلى طبع كتابه « اعلام المغرب فى العلوم والفنون » فى ثلاثة اجزاء وسيدخل على هذه الطبعة الكثير من الاضافات والتحقيقات .

× **« مدرسة الشعر فى النجف او الشيخ جواد الشبيبى » كتاب جديد يصدر قريبا لعلى الخاقانى. كما سيصدر له ديوان بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى المتوفى سنة ٦٨٣ هـ.**

• لاول مرة سيشترك الاردن فى مهرجان للفيلم السينمائى . اسم الفيلم « لعنة الذهب » الذى تم تصوير مناظره فى الاردن المهرجان هو مهرجان الفيلم الاسيوى يعقد فى فرانكفورت فى ٢٠ مارس المقبل .

× **اطلس المعجزات «المجموعة الشعرية الاولى للشاعر الجزائرى صالح خرفى تصدر فى هذا الشهر .**

• «الشعر الشعبى فى الجزائر » موضوع دراسة مطولة عن تاريخ الشعر الشعبى فى الجزائر يعدها للنشر نور عبد القادر .

× نقلت رفاة الشاعر التونسى الفقيد ابو القاسم الشابى من المقبرة القديمة الى الروضة الجديدة التى اقيمت فى نادى الشابى بتونس . وستحتفل تونس فى ٢٤ فبراير المقبل بذكرى شاعرها الكبير وقد دعى ادباء الاقطار العربية للمساهمة فى ذلك الاحتفال .

• صدر في القاهرة لمحمد عبد المنعم خفاجي كتابان هما : دراسات في النقد الادبي ، والبناء الفني للقصيدة العربية ويطبع له الان كتاب عن ابي عثمان الجاحظ ويقع في ٤٠٠ صفحة .

• صدر في القاهرة في جزئين كتاب « الحلة السيراء » يضم تراجم لشعراء الاندلس حتى القرن السابع الهجري تاليف ابن الابار محمد بن عبد الله وتحقيق الدكتور حسين مؤنس .